وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة . غرداية .

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المغرب العربي الحديث

تحت عنوان:

ثورة علي بن غذاهم 1864 م

إعداد الطالب:

إبراهيم لنقاي

إشراف الأستاذة :

نصيرة نواصر

السنة الجامعية 2018 -2019

1440 هـ - 1441 هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة . غرداية .

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المغرب العربي الحديث

تحت عنوان:

ثورة علي بن غذاهم 1864 م

إعداد الطالب:

إبراهيم لنقاي

إشراف الأستاذة :

نصيرة نواصر

السنة الجامعية 2018- 2019

1440هـ - 1441هـ

الإهـــــــــــــــداء

جدي مُحَّد بكو،وجدتي تزومت ، كنامة ،خوادي ،أبكي، هؤلاء الذين تعلمت من سريهم الصبر و الصمود والثبات على المبدأ ،طيب الله ثراهم.

إلى من قال فيهما الرحمن ":وقضى ربك الاتعبدوا الاإياه وبالولدين إحسانا" إلى من تكبدت العناء وسهرت الليالي الطوال من أجلي الى قرينة الفؤاد والروح ،الى من تحت قدميها الجنان **،أمي** العزيزة بارك الله في عمرها.

الى من تكبد لاجلنا الصعاب الى قدوة ومن علمنى كيف يكون الطموح والعمل **أبي** العزيز بارك الله في عمره .

إلى كل عائلتي الكريمة "النقاي"

إلى منهم سندي في الحياة" :**إخوتي** "و" **أخواتي**. "**والزهراء** ، **أحلام**

إلى كل أصدقائي : **باهى ،مصطفي ،عمار، خالد ،سنوسي ،علي ،بوية ،باهى ،مُحَّد ، أجمل ، الشيخ ،لحسن**

إلى كل من ساعدني من قريب أوبعيد.

شـــــكر وتقـــــــدير

إن الشكر لله رب العالمين، الذي بعونه قد أنجز هذا العمل.

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة **نواصر نصيرة** على هذا البحث ،ولم تبخل عليا بنصائحها وارشاداتها.

كما اتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنى في إ نجاز عملي المتواضع، والى كل من ساهم في تشجيع ونصح ومساعدتي ولو بالكلمة الطيبة.

المقدمة العامة

المقدمة العامة :

إنّ المتمعن في التاريخ الحديث للدولة العثمانية الحديث في شمال افريقيا يلمس الكثير من الحقائق التي تطرح عدة تساؤلات يمكن أن تكون موضوع الدراسات التاريخية المعمّقة، منها تلك المتعلقة بتاريخ تونس ، منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فمن المؤكد أن الإيالة التونسية في تلك الفترة مازال في حاجة إلى تمحيص، وتدقيق، وقراءة معمقة من أجل تقصي الحقائق، ووضعها وتنظيمها ضمن إطارها الزماني والمكاني، والوقوف عند الأحداث الهامة التي حاكت وحدة تاريخ تونس بكل أقاليمها ،وأكدت على وحدة المصير الذي أسهمت في صنعه وحدة المعاناة والتضحيات الوطنية.

كما إندرجت أوضاع الإيالة التونسية منذ وفاة حمودة باشا سنة 1814 م نحو التدهور الذي تحوّل إلى أزمة شاملة تتمثل في عجز ميزانيّة الدولة حيث أن المصاريف فاقت المداخيل بـ: 1.7 مليون ريال سنة 1861م.

و عجز الحكومة تم رفع هذه الضّريبة إلى الضّعف وهو أمر أثقل كاهل المواطن التّونسي ، و كون هناك أحرار لا يقبلون الظّلم قامت ثورة علي بن غذاهم إحتجاجاً على هذا القرار الباطل في رفع الباهظ مما أشعل تونس بالثورات ، عندما أمتنعت القبائل عن دفع الضّريبة الجديدة ، و من الأطراف التي شاركت بالثورة و هي قبائل ماجر و بو غانم و الفراشيش .قامت ثورة علي بن غذاهم في جميع مدن تونس ، و يعتبر علي بن غذاهم هو من قام بتفجير ثورة التونسيين على الحكم الظّالم .

بدأت عندما رفض الشّعب دفع الضّرائب و أيضاً بسبب الفقر و الظّلم و الأحكام و القوانين الجديدة الظّالمة ، و لم يكتف الشّعب بعدم دفع الضريبة ، و لكن إمتدت إلى مهاجمة ممتلكات و كل ما يملكه حاكم تونس بسبب ظلمه، والحقيقة لم يسجل تاريخ تونس اثناء العصور الحديثة وعيا شعبيا هز كيان الاهالي ضد حكّامه الذين أثقلوه بالضرائب، وانهكوا قواه، مثل هذه الانتفاضة التي تظافرت جهودها على المطالبة بإلغاء الزيادة في الضرائب، وتعيين حكام من المواطنين عوض الموالي الذين أساؤوا اليهم بامتصاص دمائهم.

إنّ البحث في تاريخ تونس لازال بكر ا ويكاد يقتصر على بعض الدراسات التي لا تخفي أهدافها، أما نحن فسنركز في هذه الدراسة على ثورة علي بن غذاهم من 1864م إلى غاية 1867م.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في أنه يتناول بالدراسة تاريخ أحد اهم احداث تونس، ويميط اللثام، وينفض الغبار عن انتفاضة لازالت بحاجة إلى الدراسات الجادة، كما أنه يسلط الضوء على صفحة من صفحات جهاد الشعب التونسي ضد الحكم الظالم، ويكشف عن وقائع تاريخية قد يجهلها الكثير وتتعرض الدراسة لجزئيات من تاريخ تونس قد تستهوي المهتمين بالتاريخ وتدفعهم للبحث فيها مستقبلا، كما أن الموضوع يخلد أحداث و شخصيات مهمة، ويكشف عن جوانب هامة من الجهاد الذي يعتبر من أحد محطات جهاد التونسين ضد حكم الظالم .

دوافع اختيار الموضوع:

1. الرغبة في البحث في تاريخ الجزائر عامة وتاريخ الصحراء خاصة كون البحث فيها مازال بكرا
2. محاولة الكشف عن الإستراتيجية التي اتبعها النظام للقضاء على الانتفاضة وإزالة اللبس عن بعض أبجدياتها.
3. محاولة إزالة الغموض الذي يكتنف أحداث الثورة والأفكار الخاطئة عن قائدها
4. الرغبة من خلال هذه الدراسة في المساهمة ولو بشكل متواضع في إثراء حقل البحث العلمي والمكتبة ببحوث ودراسات أكاديمية.

إشكالية الموضوع :

من خلال دراستنا هاته نحاول التعرف على البنية الجغرافية التاريخية لتونس وأصل السكان، والاستراتيجية التي طبقها النظام الفاسد في إخماد الانتفاضة، وذلك يقودنا لطرح عدة تساؤلات نحاول الإجابة عنها في هذه المذكرة منها :

- ماهو اصل السكان تونس والحضارات التي تعاقبة على تاريخها؟
- إلى أي مدى ساهمت اوضاع تونس في إندلاع الثورة واهم أحداثها ؟
- ماهي الإستراتيجية التي طبقها النظام في إخماد الانتفاضة .؟ وكيف كانت نتائجها .؟ وماهي العوامل التي أدت إلى الخضوع النهائي للثائرين ونهاية المحارب .؟

إطار البحث:

إن هذه الدراسة تندرج ضمن إطار تاريخ تونس الحديث وقد عالجنا في الدراسة المرحلة الممتدة مابين 1864م إلى سنة 1867 م ،لأن هذه الفترة هي انتفاضة الشعب التونسي وتمثل هذه الفترة معلماً تاريخيا هاما، كما يمثل عام 1864م تاريخ اندلاع ثورة علي بن غذاهم ، لذلك ركزت على هذه الفترة.

مناهج البحث:

إن طبيعة وإشكالية البحث تفرض على الباحث دائما أنواعاً محددة من المناهج، بحيث أن الباحث لا يكتفي بمنهج واحد فقط من أجل دراسته لذلك اعتمدت في دراستي لموضوع البحث على المناهج التالية :

1. المنهج التاريخي الأسلوب الوصفي السردي: الذي اعتمدت عليه لأنه يعتمد على سرد الوقائع ضمن نسق متسلسل ووصفها حسب المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة لذا وظفناه في إستعراض الاحداث التارخية .
2. الأسلوب التحليلي: والذي استعملته في تحليل بعض المحطات التاريخية في الموضوع ، وقد وظفته لأبين كيف خضع علي بن اغذاهم ، وكذلك تحليل بعض الأحداث التاريخية الأخرى وفق اطارها الزمكاني .

- صعوبات البحث :إن الباحث في ميدان التاريخ تواجهه دوما صعوبات جمة تتطلب الصبر، والمجالدة، وقوة الإرادة، خاصة أني مازلت مبتدئاً في هذا المجال، ومن أجل إعداد هذه الدراسة الأكاديمية واجهتني بعض الصعوبات منها
- صعوبة الوصول إلى المادة المصدرية خاصة الوثائق الأرشيفية الخاصة بتلك الفترة .
- قلة الكتابات في هذا المجال .

الدراسات السابقة :

الدراسات العربية :

الدراسة الأولي : جان غانياج(Jean Ganiage) **لكتاب " :ثورة علي بن غذاهم: دراسة في تاريخ تونس في القرن التاسع عشر"**

يُعد هذا الكتاب من أهم المراجع الكلاسيكية حول ثورة علي بن غذاهم، حيث يقدم جان غانياج تحليلًا معمقًا وشاملًا لأسباب الثورة، مستعرضًا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتونس في منتصف القرن التاسع عشر تحت حكم البايات. يركز غانياج على الضغوط الجبائية المتزايدة التي فرضتها السلطة المركزية، وتأثيرها على القبائل البدوية وشبه البدوية في الأرياف التونسية، وخاصة الفراشيش. يتتبع الكتاب مراحل الثورة، من اندلاعها وتوسعها، إلى دور القيادات المختلفة (وعلى رأسها علي بن غذاهم)، وصولًا إلى عوامل ضعفها الداخلية وقمعها الدموي. كما يتطرق إلى دور الوساطات الداخلية وتأثير التدخل الأجنبي غير المباشر في مجريات الأحداث وتداعياتها على مستقبل البلاد

السياسي والمالي، مؤكدًا على أن الثورة كانت تعبيرًا عن رفض شعبي لسياسات التحديث الفوقي التي أثقلت كاهل الشعب.

الدراسة الثانية : أحمد بن أبي الضياف (ت. 1874م / 1291هـ) **لكتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"**

لا يُعتبر هذا العمل "دراسة بحثية" بالمعنى الأكاديمي الحديث، بل هو مصدر تاريخي أساسي ومعاصر للأحداث، كتبه مؤرخ كان جزءًا من الجهاز الإداري لسلطة الباي. يقدم "الإتحاف" تفاصيل غنية ووقائع دقيقة عن فترة حكم البايات الحسينيين، ويخصص أجزاء هامة منه لثورة علي بن غذاهم. تُعد هذه الرواية شهادة داخلية قيمة عن طبيعة الثورة، أسبابها من منظور السلطة، مواقف القبائل، دور الوسطاء، والحملات العسكرية لقمعها، بالإضافة إلى تفاصيل حول مصير علي بن غذاهم. ورغم أن رؤيته قد تكون متأثرة بموقعه الرسمي، إلا أنها لا غنى عنها لأي باحث يرغب في فهم الأحداث من وجهة نظر المعاصرين لها، وتُستخدم كمادة خام أساسية لأي دراسة لاحقة.

الدراسة الأجنبية :

الدراسة الثالثة : Jean Ganiage **: لكتاب "Les origines du Protectorat français en Tunisie**

يُعد هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا وموسوعيًا لفهم تاريخ تونس في العقود التي سبقت الحماية الفرنسية. على الرغم من أن عنوانه العام يركز على أصول الحماية، إلا أن غانياج يخصص فصولًا كاملة ومفصلة لتحليل ثورة علي بن غذاهم كحدث محوري ضمن السياق الأوسع للأزمة المالية والسياسية التي مرت بها تونس. يحلل الكتاب الأبعاد الاقتصادية للثورة، مبرزًا الضغوط المالية الأوروبية على الباي وكيف أدت هذه الضغوط إلى زيادة الضرائب المحلية.

كما يتناول الجوانب السياسية للثورة، ودورها في إضعاف الدولة الحسينية، وكيف استغل الأوروبيون هذا الضعف لزيادة نفوذهم. يقدم غانياج رؤية شاملة تعتمد على وثائق أرشيفية فرنسية وتونسية، ويُظهر كيف أن الثورة لم تكن مجرد تمرد داخلي، بل كانت عاملًا مهمًا ساهم في تسريع وتيرة التدخل الأجنبي الذي توج بالحماية.

هيكلة الدراسة :

إن هذه الرسالة تتألف من مقدمة وثلاث فصول، وتسعة مباحث، وخاتمة، وملاحق،

في الفصل الأول : لمحة تعريفية جغرافية تاريخية حول منطقة تونس

لقد درسة فيه الخصائص الطبيعية والبشرية لتونس .

ـ المبحث الأول :لمحة تعرفية حول تونس:

وقد تناولت فيه تحديد الموقع الجغرافي والفلكي وتبيين الحدود المنطقة ،بالإضافة إلى مظاهر السطح.

ـ المبحث الثاني : الاصل والسكان ،

وقد تناولنت فيه أصول السكان وهويتهم الثقافية والحضارية

ـ المبحث الثالث: اهم الحضارات التتعاقبة على تاريخ تونس ، وقد تناولت فيه البنية الإجتماعية في تونس وأهم الحضارت

أما الفصل الثاني :احداث ونمطلقات الثورة1864م :

ـ المبحث الأول :الاوضاع العامه لتونس قبيل إندلاع الثورة ، وقد صنفتها حسب طبيعة الازمات التي غلب عليها الطابع الإقتصادي ويليها الطابع السياسي.

ـ المبحث الثاني : اسباب قيام ثورة 1864م ، وقد بدأت هذا المبحث اسبب مباشرة والتي كان أول المهتمين بها مصطفي خزنه دار والاصلاحات المتأثرة بالنموذج الأوروبي التي أدخلت دون مراعات خصوصية البلاد الإسلامية العربية .

ـ المبحث الثالث :أهم أحداث ثورة علي بن غذاهم ،وقد تناولت فيه وقائع الثورة ومدا انتشارها وركودها

أما الفصل الثالث :عوامل فشل ثورة علي بن غذاهم 1864م ونتائجها ، فقد قسمناه إلى ثلاث مباحث

ـ المبحث الأول :عوامل فشل الثورة ، وقد تناولت فيه ضعف القدرات التنظمية وتشتت قوة الانتفاضة.

ـ المبحث الثاني :إخضاع الثائرين ،وقد تناولت فية خدعة وسياسة مصطفي خزنه دار في التعمل مع الثائرين .

ـ المبحث الثالث : نتائج الثورة ونهاية المحارب، وقد تناولت فيةماسفرت عنه احداث الثورة وكيف كانت نهاية علي بن غذاهم

وأمام صعوبة هذه الدراسة لا يسعني الا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة:**نواصر نصيرة** أولا لقبولها الإشراف على هذه المذكرة، وثانيا لإسدائها لي النصيحة وتقديمه لي توجيهات موضوعية، ومنهجية،

واستسمحها لاقتطاع من وقتها الكثير ولهها مني كل الإحترام والتقدير ونرجو من الله ان يوفقها في خدمة البحث العلمي ولها الشكر الجزيل دائماً.

الفصل الأول

لمحة جغرافيا تاريخية حول تونس

تمهيد :

تاريخ تونس هو ليس فقط تاريخ دولة عربية مسلمة تقع في شمال أفريقيا، بل جزء من تاريخ العديد من الحضارات التي تعاقبت عليها عبر التاريخ.وكانت تسمى في السابق إفريقية وعاصمتها حاليا تونس.

حيث تم العثور على آثار نشاط إنساني يعود إلى **العصر الحجري القديم** السفلي وذلك تحديدا في موقع القطار (بمدينة قفصة) والذي اكتشف فيه عالم الآثار جراي كوما من الحجارة مخروطي الشكل يعتقد أنه تعبير عن معتقد ما ويُرَجّحُ أنّه من أقدم المعالم الدينية التي عرفتها البشرية.

عرفت تونس تعاقب العديد من الحضارات التي جلبتها ثروات هذه الأرض وأهمية موقعها الاستراتيجي في قلب حوض **البحر الأبيض المتوسط** وساعد على دخولها الانفتاح الطبيعي لتونس وسهولة تضاريسها. ويُعدّ قدوم **الفينيقيين** سنة 1101 ق.م. لغايات تجارية بداية دخول المنطقة فترة التاريخ. أما تأسيس **قرطاج** سنة 814 ق.م. فيُعدّ البداية الحقيقية لدخول شمال إفريقيا القديم في صلب التاريخ وذلك في علاقة بعامل التأثّر والتأثير على المستوى الحضاري.

المبحث الأول: لمحة تعريف حول تونس

الجمهوريـة التونسـية: هـي دولـة عربيـة تقـع فـي شـمال أفريقيـا يحـدها مـن الشـمال والشـرق البحـر الأبـيض المتوسـط ومـن الجنـوب الشـرقي ليبيـا (459 كـم) ومـن الغـرب الجزائـر (965 كـم). عاصـمتها مدينـة تـونس. تبلـغ مسـاحة الجمهوريـة التونسـية 163,610 كـم^2. يبلـغ سـكان الجمهوريـة التونسـية حسـب آخـر الإحصـائيات سـنة 2014 مـا يقـارب 10 ملايين و982,8 ألف نسمة[1].لعبت تونس أدوارا هامة في التاريخ القديم منذ عهد الفينيقيين والأمازيغ والقرطاجيين والوندااليين والرومان وقد عرفت باسم مقاطعة أفريكا إبان الحكم الروماني لها والتي سميت باسمها كامل القارة. فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي وأسسوا فيها مدينة القيروان سنة 50 هـ لتكون ثاني مدينة إسلامية في شمال أفريقيا بعد الفسطاط. في ظل الدولة العثمانية، كانت تسمى "الإيالة التونسية". وقعت تحت الاحتلال الفرنسي في عام 1881، ثم حصلت على استقلالها في عام 1956 لتصبح رسميا المملكة التونسية في نهاية عهد محمد الأمين باي. مع إعلان الجمهورية التونسية في 25 يوليو 1957، أصبح الحبيب بورقيبة أول رئيس لها.

تأتي تسمية البلاد من تسمية عاصمتها التي تمتلك نفس الاسم. وتختلف الآراء عن تسمية هذه المدينة. يعتقد البعض أن اسم تونس يعود إلى الحقبة الفينيقية حيث أن عادةً ما تسمى المدينة بألهتها الرئيسية وفي حالة تونس فهي تانيت.[2] بعض المدارس العربية رجحت أصل الكلمة إلى جذور عربية من خلال المدينة القديمة ترشيش.كما رجح البعض الأخر أصل الكلمة إلى كلمة تينس التي وصفها ديودورسوبوليبيوس والتي يبدو وصفها قريبًا من منطقة القصبة بضواحي تونس حاليًا أيضًا، أشار المؤرّخ عبد الرحمن بن خلدون إلى أصل كلمة "تونس" التي أطلقت على حاضرة شمال إفريقيّة حيث أرجع اصلها إلى ما عرف عن المدينة من ازدهار عمراني وحيوية اقتصادية وحركية ثقافية واجتماعية فقد أشار إلى أنّ اسم "تونس" اشتقّ من وصف سكانها والوافدين عليها لما عرفوا به من طيب المعاشرة وكرم الضيافة وحسن الوفادة. كما يوجد تفسير آخر يقول أن الكلمة من جذع فعل أنس الأمازيغي والذي يعني قضاء الليلة ، مع تغير المعنى في الزمن والمكان، قد تكون كلمة تونس أخذت معنى مخيم ليلي، أو مخيم، أو مكان للتوقف.

وهناك مراجع مكتوبة من الحضارة الرومانية القديمة تذكر مدن قريبة بأسماء مثل تونيزا (حاليًا القالة)، تونسودى (حاليًا سيدي مسكين)، تنسوت (حاليًا بئر بورقبة)، تونسي (حاليًا رأس الجبل). بما أن كل هذه القرى كانت موجودة على الطرقات الرومانية، فقد كانت بلاشك تستعمل كمحطة لتوقف

[1] شارل اندري جوليان جوليان 1946م :**تاريخ إفريقيا** ، دار النشر تونس ،ص 41.
[2] شارل اندري جوليان جوليان 1946م : **تاريخ إفريقيا** ، ص42.

والاستراحة[1]تسمية البلاد في اللغات اللاتينية، التي تضيف إليها ia مثل الإنجليزية وهي قد تطورت من تسمية الجغرافيين والمؤرخين الفرنسيين الذين سموها *Tunisie –ia*،[2] في أوائل القرن 19 كجزء من جهودهم الرامية إلى إعطاء أسماء للأراضي التي كانت تحتلها فرنسا. كلمة *Tunisie* المشتقة من الفرنسية تبنتها بعض اللغات الأوروبية مع بعض التعديلات الطفيفة، مما أنتج عن اسم مميز للبلاد. أما بعض اللغات الأخرى فلم تغير التسمية العربية كثيرا، مثال على ذلك التسمية الروسية لتونس *Тунис* (تونس) .

والتسمية الإسبانية *Túnez*.

تقع البلاد التونسية بين خطي العرض 30° و14 دقيقة، و37° و13 دقيقة شمال خط التضاريس تقسم :

- ساحل شمالي يتميز بأنه صخري مرتفع تجاوره أعماق بحرية متعرج فيه خلجان واسعة كخليج تونس ورؤوس كرأس الطيب يلي الساحل سهول ساحلية ضيقة لاقتراب الجبال من البحر أما الساحل الشرقي فهو ساحل رملي منخفض قليل التعاريج فيه خلجان واسعة كخليج الحمامات وخليج قابس وجزيرتي جربة وقرقنة .
- الجبال وهي سلسلة واحدة من جبال الأطلس البحري أعلاها سلسلة خمير .
- الهضاب امتداد لهضبة الشطوط في الجزائر تنتهي بسهول رملية فيها شط الجريد .

يتألف سطح تونس من " سهول " ساحلية التي تمتد على السواحل البحرية المطلة على البحر المتوسط وتتسع في الوسط، المناطق الجنوبية هي امتداد للصحراء الجزائرية. تغطي الصحراء النصف الجنوبي من أراضي تونس. يعد وادي مجردة أكبر أنهار البلاد.

تنقسم البلاد التونسية إلى ثلاث مناطق كبرى :

- التل الأعلى الذي يغطي الشمال.
- الوسط التونسي، حيث الفيافي العليا والمنخفضة التي تنتهي عند الساحل الشرقي.

المنطقة الداخلية التي يحدها شط الجريد شمالا، وتتميز تلك الربوع بمساحاتها الصحراوية الشاسعة وبواحاتها الغناء الملتفة حول عدد قليل من منابع الماء، تقع في تونس أقصى نقطة في شمال القارة الأفريقية، وهي رأس أنجلة.[3]

[1] أحمد بن عامر: **تونس عبر التاريخ** ، دار النشر، تونس، ص 76.
[2] نفسه ،ص 80.
[3] أحمد بن عامر: **تونس عبر التاريخ** ، دار النشر، تونس ،ص87

المناخ : تقع تونس جنوب المنطقة المعتدلة ويخضع مناخها للتأثيرات المتوسطية فهو لذلك مناخ معتدل ولطيف، ويبلغ متوسط ارتفاع الحرارة 44،11 درجة في جويلية و3،29 درجة في شهر ديسمبر[1].

أما الأمطار فهي تنزل بدون انتظام وتتوزع بدون تساو بحسب الفصول والجهات (75 % منها تنزل في الشتاء). ويتجاوز معدل الأمطار 1.500 مليمتر سنويا في عين دراهم الواقعة في أقصى الشمال، وتتدنى هذه الكميات إلى أقل من 150 مليمترا في أقصى الجنوب.[2]

البيئة : لاستواء وبين خطي الطول 7° و32 دقيقة و11° و36 دقيقة شرق خط غرينتش استقر الإسلام في المنطقة بعد ثلاث فتوحات متتالية عرفت مقاومة كبيرة من البربر بينما لم تُعَرّب شعوب المنطقة إلا بعد ذلك بقرون طويلة. كانت أولى الفتوحات سنة 647م وعرفت بفتح العبادلة لأن قوادها يحملون اسم عبد الله وقد كان اسم المعركة الآخر هو معركة سبيطلة حيث فتحوا المدينة وقتلوا حاكما ظالما جرجيريورس أو كما كانوا يسمونه جرجير وأسروا ابنته ، وقعت الحملة الثانية سنة 661م وانتهت بالسيطرة على مدينة بنزرت.

أما الحملة الثالثة والحاسمة فكانت بقيادة عقبة بن نافع سنة 670م وتم فيها تأسيس مدينة القيروان والتي أصبحت فيما بعد القاعدة الأمامية للحملات اللاحقة في إفريقية والأندلس.

إلا أن مقتل عقبة بن نافع سنة 683م كاد يفشل الحملة واضطر الفاتحون إلى حملة رابعة ونهائية بقيادة حسان بن النعمان سنة 693م أكدت سيطرة المسلمين على إفريقية رغم مقاومة شرسة من البربر بقيادة الكاهنة. وتمت السيطرة على قرطاج سنة 695م ورغم بعض الانتصارات للبربر واسترجاع البيزنطيين لقرطاج سنة 696م فإن المسلمين سيطروا بصفة نهائية على المدينة في 698م وقتلت الكاهنة في السنة نفسها.

لم تسترجع قرطاج هيبتها بعد ذلك وتم استبدالها بعد ذلك بميناء تونس القريب والذي كان مركز انطلاق للغزوات في البحر باتجاه صقلية وجنوب إيطاليا، لم يكتف الفاتحون الجدد بالسيطرة على السواحل بل أتجهوا برا ونشروا عقيدتهم في صفوف البربر الذين أصبحوا من ذلك الحين رأس الحربة في الفتوحات اللاحقة وخاصة في الأندلس بقيادة طارق بن زياد.[3]

احتوت مدينة القيروان على العديد من مراكز تعليم الإسلام إلا أن بعد إفريقية عن المشرق مهد الديانة ومركز الحكم أدى إلى انتشار الفرق الإسلامية التي لا تنتمي إلى أهل السنة وخاصة الفكر

---

[1] نفسه ،ص96 .
[2] شارل أندري جوليان 1946م:تاريخ إفريقيا الشمالية، ص 55
[3] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ، ص 99.

الخارجي. أشرق نور الإسلام في مكة المكرّمة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فدخل الناس في دين الله أفواجا، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان الإسلام قد عم جزيرة العرب، ثم انتشر الصحابة خارجها فاتحين وناشرين لدعوة الأسلام. وفي أقل من ربع قرن أتموا فتح كل من العراق وبلاد الشام ومصر ،وما إن أتم المسلمون الفتح النهائي لمصر سنة 21 هـ حتى سارع عمرو بن العاص ففتح برقة (بين الإسكندرية وطرابلس بليبيا) سنة 22 هـ، وطرابلس سنة 23 هـ، وترك جزءا من جيشه للحفاظ على البلاد المفتوحة ونشر الإسلام بين أهلها لمن رغب فيه. وكان ضمن هذه الحامية عقبة بن نافع الفهري الذي كان له بعد ذلك شأن عظيم في تاريخ إفريقية والمغرب. ولما شارف عمرو بن العاص على إفريقية (تونس) ليفتحها أرسل يستشير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان الجواب حاسما "لا".[1] ففي هذه السنة 22 هـ بات عمر بن الخطاب ليلة مهموما يفكر من يولي على الكوفة وقد رفض أهلها أن يولى عليهم عمار بن ياسر ومن بعده أبو موسى الأشعري فكانت ولاية الكوفة مبعثة للقلق، وأمام تقدم فتوحات المسلمين في أرض البحرين وفارس والسند والترك والأكراد ومصر قلق عمر بن الخطاب وأحس بتسارع الأحداث، فلما أراد عمرو ابن العاص أن يتوغل باتجاه الروم (تونس) منعه من ذلك، ثم كان يوم الأربعاء 27 ذي الحجة سنة 23 هـ الموافق لـ 3 نوفمبر 644 م هو اليوم الذي طعن فيه عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي ودفن يوم الأحد 7 نوفمبر 644 م الموافق للأول من 24 هـ، فدفن معه العدل في ذلك اليوم. إلى أن جاءت ولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الأربعاء 4 محرم 24 هـ، فعزل عمرو بن العاص سنة 26 هـ وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر فسار ومعه عقبة بن نافع الفهري على رأس جيش يضم عشرين ألفا، قال الطبري خرج منهم عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين، وعرفت هذه الغزوة "بغزوة العبادلة السبع".[2]

والتي جرت أحداثها بمدينة سبيطلة سنة 27 هـ الموافق لـ 648 م حيث قتل قائد الجيش البربري جرجير وأصاب المسلمون من هذه الغزوة أموالا لم يصيبوا مثلها، فكانت إفريقية من أعظم الفتوح عند المسلمين، قال الطبري كانت أحسن امة سلاما وطاعة وأهل إفريقية من أحسن أهل البلدان وأطوعهم إلى ولاية هشام بن عبد الملك، حتى دب إليهم أهل العراق فاستثاروهم وشقوا عصاهم وفرقوا بينهم. عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، كان يكتب للنبي فأزله الشيطان فلحق بالكفر فأمر النبي أن يقتل يوم الفتح، فلما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله عند عثمان بن عفان (وهو أخوه لأمه) فجاء به حتى أوقفه على النبي وهو يبايع الناس، فقال يا رسول الله بايع عبد الله (بن أبي سرح) ! فبايعه بعد ثلاث أيام، ثم

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ،ص100.

[2] WWW .WORLATLAS.COM.RETRIVED 6-6 2018 EDITED.

أقبل على الصحابة فقال : ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا (يقصد عبد الله بن أبي سرح) حين رآني كففت يدي عن مبايعته فيقتله. العبادلة السبعة: أشهرهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.[1]

المبحث الثاني: أصل السكان

تعتبر تونس من أكثر الدول العربية والمتوسطية تجانسا إذ يمثل المسلمون السنة 98% من السكان مما ولد انتماء وطنيا قويا لدى التونسيين في غياب النزعات العرقية والطائفية. وتركيبة السكان حاليا هي مزيج من العرب والأمازيغ والفينيقيين والأوروبيين وبدرجة أقل من الأتراك والأفارقة.

يعتبر الأمازيغ هم أول من سكن البلاد لكن المحطة الأبرز في تاريخ تونس القديم تتمثل في وفود الفينيقيين الذي قاموا بتأسيس قرطاج في القرن التاسع قبل الميلادي. شهدت البلاد بعدها توافد كل من الرومان والوندال عليها. وفي القرن الثامن فتح العرب المسلمون البلاد عقبها مجيئ عدد كبير من العائلات والقبائل العربية التي ما لبثت أن إنصهرت بشكل كبير مع باقي السكان لتأخذ تركيبة البلاد منئذ شكلها الحالي. شهدت البلاد أيضا وفود آلاف الأندلسيين الذين إلتجئوا إليها بعد طردهم من قبل المسيحيين كما عرفت ابتداء من القرن السادس عشر استيطان عدد كبير

من العائلات التركية،صدر مؤخرا التقسيم الجيني للبشرية الذي يعطي بوضوح تكوين الشعوب ولئن يمكن للروايات التاريخية أن تتضارب فإن علم الموروث الجيني هو علم صحيح لا يقبل الدحض تقريبا، و قد يتضمن أصول الشعب التونسي مفاجأة للبعض لكنه يحمل أيضا بعض الإجابات عن الحضارات التي مرت بها البلاد التونسية.

- تكوين الشعوب فأول رقم هوّ أن 63 % من الشعب التونسي أمازيغ وهو رقم معقول مقارنة بدول الجوار كالجزائر والمغرب ذات الكثافة الأمازيغية وقد يعود ذلك لموقع تونس المتقدم وطبيعتها الجغرافية السهلة التي جعلتها أكثر عرضة للغزو و الاستيطان عبر التاريخ.
- العنصر الأوروبي في الجينات التونسية بنسبة 7.4 % وهي نسبة تبدو مرتفعة مقارنة بالرأي السائد الذي يتحدث عن إنقراض العنصر الروماني والوندالي وبعض العائلات المتوسطية التي إستوطنت تونس.
- العنصر العربي والذي يبلغ 14 % من مكونات المجتمع التونسي وهو ما يدحض عدة نظريات التي تتحدث عن أهمية العنصر العربي والتهويل من الأصول العربية لدى التونسيين والتي

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ،ص 99.

تتراوح بين تونسي من سبعة و تونسي من ثمانية فقط له أصول عربية.[1]و تفصيلا 4.1 % من التونسيين ينحدرون من جنوب شبه الجزيرة العربية ، أما نسبة الهلاليين والسليميين من التونسيين فهي لا تتجاوز 9 % من فخوذ بني هلال وبني سليم المتفرعة مجتمعة وهو دحض للمقولة الشهيرة أن التونسيين نصفهم أمازيغ و نصفهم عرب بنو هلال [2].

و أخيرا 0.9 من التونسيين ينحدرون من الشام ويمكن إلحاقه بالعنصر العربي نسبة للمستعربة.

- العنصر التركي تبلغ نسبته 8.2 % من مجموع التونسيين و هاته الهجرة حديثة نسبيا بدأت منذ القرن السادس عشر و إستمرت إلي أواخر القرن التاسع عشر والمعلوم أن الخلافة العثمانية لم تستعمل إدارة الإيالة التونسية العنصر التركي السلجقي بل كانت تستعمل العنصر الأوروبي سواء كانو مماليك أو في الجيش الإنكشاري وهذا ما يفسر أن العديد من التونسيين لا يدركون أصولهم التركية، ويجهلون غالبا إلي أي فرع ينحدرون وموطن قدومهم وأهم نسبة ترجع إلي القبارصة الذين يمثلون نسبة 3.9% من التونسيون تليها اليونان حيث يبلغ التونسيين من أصول يونانية نسبة 2.5 % و أخيرا الأرمن 1.8%.

من المفارقات أن الجينات الإسبانية لدي التونسيين هي جينات ضعيفة لا تتجاوز 0.3%، رغم أن الكثير من التونسيين يصرّحون بأن أصولهم أندلسية ، ويرجع ذلك أن الأندلسيين مكونين أيضا من العنصر العربي والعنصر الأمازيغي.

من أهم مكونات التونسيين العنصر الزنجي والذي يبلغ 6.5 % و لا يعني هذا الرقم أن 6.5 من التونسيين سود البشرة فسكان بعض المدن بالجنوب التونسي سمر يميلون للبياض لكن جينيا يعودون إلي العنصر الزنجي الإفريقي، ومعظم العنصر الزنجي في تونس من إفريقيا الغربية تقريبا جنوب النيجر حاليا بنسبة 4 %، مع وجود نسبة 0.6 % من عنصر البيقمي، و1% من أصول تعود حاليا إلي مناطق بين السينغال و مالي و 0.9 % من الحبشة.

الغريب أن نسبة المنحدرين من اللبنانين الأصليين تبلغ 0.5 % من التونسيين فقط وهي حتما تعود للفينيقيين الذين استوطنوا سواحل غرب المتوسط واتخذوا قرطاج عاصمة لهم والتي تتكون حسابيا من 50 ألف تونسي من أصل فينيقي نجو من محرقة قرطاج خلال الحروب البونيقية مع روما.أخيرا نجد أن

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ، ص105.
[2] نفسه ، ص 110.

0،1% من التونسيين يرجع أصولهم إلي شرق آسيا و قد يرجعون إلي دولة بنوخراسان التي حكمت تونس في القرن الحادي عشر.[1]

التركيبة العرقية والدينية:

تتألف الأغلبية الساحقة من الشعب التونسي – حوالي 98% – من المسلمين العرب أو البربر، معظمهم من السنّة. في حين لا يشكّل المسلمون الشيعة سوى أقلية.يشكّل المسيحيون حوالي 1% من السكان، ومثلهم من اليهود –الذين اضطلعوا بدور هام في المجتمع التونسي على مر التاريخ – بالإضافة إلى مجموعات دينية وعرقية صغيرة أخرى.معظم الشعب التونسي من السنّة على المذهب المالكي الذي أسسه مالك بن أنس في القرن الثامن؛ غير أن السنّة في تونس لا يشكّلون مجتمعاً متجانساً. تلتزم الغالبية بالإسلام المعتدل الناشئ عن التقليد الإسلامي الخاص بالبلاد. أدخل مفكرون معاصرون إصلاحات هامة على نظام التعليم، مثل خير الدين التونسي الذي أسس المدرسة الصادقية المرموقة عام 1875 التي جمعت بين العلوم الحديثة والمواضيع الإسلامية التقليدية[2].

يقول حزب النهضة الإسلامي المعتدل إنه يريد العودة إلى تقليد التراث الإسلامي في البلاد. تعود الجذور الإيديولوجية للحزب إلى الجماعة الإسلامية التي ظهرت في فترة الستينيات. تم حظر حزب النهضة في عهد بورقيبة وبن علي، إلا أنه برز كلاعب رئيسي في السياسة التونسية بعد الثورة التونسية، حيث حصل على غالبية الأصوات في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي في تشرين الأول/أكتوبر عام 2011. ساهم الاضطهاد والمضايقات التي تعرض لها أعضاء حزب النهضة في عهد النظامين السابقين، إلى جانب الموقف المتشدد للإسلاميين تجاه هذين النظامين، في منح الحزب شرعية بعد الثورة. وفي حين رفض الحزب المفهوم الغربي بالمساواة بين الرجل والمرأة في كافة المجالات، إلا أنه كان يؤيد إشراك المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية، خلافاً للأصوات الدينية الأكثر تحفظاً.

في المقابل، تضم الأحزاب اليسارية مسلمين – معظمهم من النخبة في البلاد – ليبراليين وذوي اتجاه غربي ومتأثرين بالإرث الفرنسي وسياسات التحديث في عهد بورقيبة وبن علي.

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3، ص115

[2] WWW .WORLATLAS.COM.RETRIVED 6-6 2018 EDITED.

ويؤيد اليساريون، من بين السياسات الأخرى، المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة وعلمنة الدولة؛ مع أنهم يرفضون، على سبيل المثال، حقوق مثليي الجنس التي يؤيدها العديد من اليساريين الغربيين.

في الطرف الآخر من الطيف هناك المسلمون المتحالفون مع الحركة السلفية، مجموعة من المسلحين الإسلاميين الذين يلزمهم دفاعهم عن تقاليد السلف (صحابة النبي) إلى التفسير الحرفي للقرآن وتطبيق الشريعة. ويقدّر عددهم بحوالي 10,000 شخص. يمكن تصنيف الحركة السلفية في تيارين مختلفين: السلفية الجهادية والسلفية "العلمية" (يركز التيار الأخير على التحصيل العلمي الإسلامي والدعوة الإسلامية ويرفض استخدام العنف)[1]. ومع أن معظم السلفيين "العلميين" لا سياسيين، إلا أن البعض منهم انضم مؤخراً إلى اللعبة السياسية عن طريق تأسيس حزب جبهة الإصلاح.

ارتفع عدد السلفيين الجهاديين، الأقلية ضمن حركة من الأقلية، منذ الثورة التونسية، مما وفّر للحركة، التي كانت تتعرض للقمع في عهد الأنظمة السابقة، حريات لا مثيل لها. وخلافاً للسلفيين "العلميين"،[2] يعتبر الجهاديون العنف أمراً ضرورياً أحياناً لتحقيق أهدافهم. وفي تونس، ينتظم الجهاديون بشكل رئيسي عبر أنصار الشريعة: منبر جهادي غير منظم له شبكة واسعة في المنطقة. وعلى الرغم من قلة أعدادهم، إلا أن السلفيين الجهاديين تمكنوا من زعزعة الديمقراطية المتقلبة في تونس من خلال نشاطاتهم المتشددة والعنيفة أحياناً: قاموا باقتحام معرض فني "كفري" في مدينة المرسى؛ وإحراق مكاتب اتحاد التجارة الأكثر أهمية في تونس، الاتحاد العام التونسي للشغل؛ وتفتيش الفنادق والحانات التي تبيع الكحول. واحتجاجاً على فيلم يسخر من النبي محمد، قام السلفيون الجهاديون باقتحام السفارة الأمريكية في تونس ونهب مدرسة أمريكية. ومؤخراً، انضم مجرمون عاديون إلى أنشطة السلفيين الجهاديين، مما شكّل خطراً يهدد استقرار البلاد[3].

الشيعة

تتوفر القليل من المعلومات عن الشيعة في تونس، وليس هناك بيانات رسمية عنهم. يقدّر عددهم بعشرات الآلاف. وما يصعّب مسألة الحصول على معلومات موثقة عنهم هو تكتمهم عن انتمائهم الشيعي، حيث يخفي معظمهم ذلك، كما أن بعضهم يصلّون مع السنّة. وفي حين عدم

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ، ص 115،
[2] نفس المرجع السابق ، ص120.
[3] احمد بن عامر: تونس عبر التاريخ ، ص 70 .

وجود أماكن عامة للعبادة أو مساجد شيعية في تونس، تعتبر مدينة قابس بشكل عام المركز الشيعي في البلاد. وفي الأشهر الأخيرة، تم تنظيم بعض الأحداث الثقافية الشيعية في المدينة، رغم الإقبال الضعيف عليها. ويعتبر مبارك بعداش الزعيم غير الرسمي للجماعة الشيعية في قابس

على الرغم من قلة عدد الشيعة وعدم ظهورهم العلني، إلا أنهم تعرضوا إلى اعتداءات متزايدة بعد الثورة التونسية، حيث كانوا يواجهون التهديدات والتمييز العلني يومياً. فعلى سبيل المثال، في آب/أغسطس عام 2012، لم يتمكن لطفي بوشناق، مطرب تونسي وشخصية شعبية، من إحياء حفلة موسيقية في مدينة القيروان بسبب تنظيم مسلمين متشددين مظاهرات ضد فرقته: مجموعة من الشيعة الإيرانيين. وبعد يوم على هذه الحادثة، اقتحم مسلحون سلفيون المكان الذي كان يلقي فيه سمير القنطار، عسكري شيعي لبناني، خطاباً. وفي اليوم التالي، هاجم سلفيون مظاهرة داعمة للفلسطينيين تقودها منظمة شيعية.

يتم التحريض على مثل هذه الأحداث المعادية للشيعة من خلال الخطاب المعادي لهذه المجموعة الإسلامية، بمن في ذلك بعض الشخصيات الدينية المتطرفة والرفيعة المستوى. وعلى سبيل المثال، يعتبر أبو عياض، زعيم حركة أنصار الشريعة في تونس، الشيعة غير مسلمين وكفاراً لا مكان لهم في المجتمع التونسي[1].

الصوفيون

في تونس مجموعة صغيرة من الصوفيين لا يعرف عددهم بالضبط. والصوفية تيار روحاني من الإسلام يتعبد فيه الصوفيون بالطريقة التي يعتقدون أنها أوحيت عن طريق جبريل إلى النبي محمد، وذلك بهدف التقرب أكثر إلى الله، وبالتالي تطهير النفس. وخلافاً للإسلام الحنيف، تأثرت الصوفية بممارسات البربر الدينية، بما في ذلك إيمانهم بالأرواح والتمائم وعلم الغيب. دعا رجال الدين (المرابطون) إلى هذه الطريقة، ولا تزال قبورهم مزاراً للحجاج حتى اليوم.

ترك عدد كبير من الصوفيين تونس بعد الاستقلال عام 1956، بعد استعادة الحكومة أراضيهم ومؤسساتهم الدينية في ذلك الوقت. ومع ذلك، لطالما كان للصوفية تأثير كبير على الثقافة في تونس، ولا تزال حاضرة حتى يومنا هذا. فعلى سبيل المثال، ينظم الصوفيون خلال شهر رمضان نشاطات احتفالية سنوية كالرقص والموسيقى.

[1] شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ، ص 100،

يعتبر معظم الصوفيين مدينة نفطة القريبة من الحدود الجزائرية، في منطقة البياضة، المركز الروحي لهم. فخلال السنة، يقوم الحجاج بالتوافد إلى المدينة للصلاة وزيارة الـ 100 مزار للمرابطين وأكثر من 24 مسجداً. ومنذ الثورة التونسية، اشتد الخطر على الصوفيين، وقام سلفيون بمهاجمة مزارات المرابطين[1].

البربر

ليس هناك إحصائيات متوفرة حول عدد الأمازيغ غير العرب، غالباً ما يشار إليهم بالبربر، والذين يعيشون حالياً في تونس. في الجنوب، هناك بعض القرى البربرية في الجبال، يُعرف سكانها أحياناً بـ "بربر الجبال". لا يزال بعض بربر الجبال يعيشون في منازل تقليدية منحوتة في الجبال. تشمل قرى البربر التقليدية في جنوب البلاد: مطماطة، وتمزرط، والزراوة. ويعيش غيرهم من البربر في الجنوب الشرقي من البلاد، بما في ذلك جزيرة جربة. وحالياً، يعيش بعض البربر في مدن كبيرة، مثل العاصمة تونس.

مع أن البربر يشكلون أقلية هادئة ومتحفظة، إلا أنهم أصبحوا في الأشهر الأخيرة محط الأنظار، بشكل خاص بسبب موقف السلفيين العدائي تجاههم. فعلى سبيل المثال، تم إلغاء مؤتمر لمؤسسة بربرية تونسية، كان من المخطط أن يقام في صيف عام 2012 في منطقة مطماطة، بسبب تهديدات من قبل مسلمين متشددين[2].

المسيحيون

تشهد آثار الكاتدرائيات من العصر الروماني على تاريخ المسيحية العريق في تونس. كانت سبيطلة الواقعة وسط شمال تونس مدينة مسيحية هامة حتى الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا. واليوم، هي إحدى أهم المواقع الأثرية في البلاد. تأسست مدينة سبيطلة في القرن الأول بعد الميلاد، وأصبحت مركزاً مسيحياً رئيسياً مع انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع. وتشمل الآثار خمس كنائس.

في القرن الرابع، عاش القديس أغسطينوس، فيلسوف مسيحي كبير درس في مدينة قرطاج التونسية. وكان له تأثير كبير على الجماعة المسيحية في تونس وخارجها من خلال مقاربته الفلسفية للدين. كما كان لأفكاره تأثير كبير على اللاهوتيين والفلاسفة حتى يومنا الراهن.

[1] احمد بن عامر:تونس عبر التاريخ ، ص 87.
[2] شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ،ص 103.

على الرغم من هزيمة الإمبراطورية البيزنطية على يد العرب عام 647، بقي عدد المسيحيين كبيراً لقرون عديدة، غير أن أعدادهم تراجعت بشكل كبير في القرن الثالث عشر، وذلك في إطار ما فسره عدد كبير من المؤرخين بالاختلافات والنزاعات الداخلية، مما تسبب بهجرة المسيحيين إلى الخارج.

وبالتالي، لا تعود جذور المسيحيين الذين يعيشون اليوم في تونس إلى المسيحيين الأصليين في البلاد، وإنما هم من الوافدين الأوروبيين الذين أتوا مؤخراً، خاصة خلال فترة الحماية الفرنسية الممتدة بين العامين 1881 و 1956[1].

وفق تقرير الحرية الدينية الدولية لعام 2007 الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية، يعيش حوالي 25,000 مسيحي في تونس، 20,000 منهم من الكاثوليك من بينهم 500 شخص تقريباً ملتزمين دينياً. تدير الكنيسة الكاثوليكية 12 كنيسة، بالإضافة إلى مكتبات و 9 مدارس وعيادتين. كما تنظّم الأحداث الثقافية والنشاطات الخيرية. والطائفة المسيحية الثانية من حيث الحجم هم البروتستانت: حوالي ألفي شخص. وتشمل الطوائف المسيحية الأخرى في تونس: الكنيسة الإنجيلية، بضعة مئات من الأعضاء؛ وكنيسة فرنسا المصلحة، تملك كنيسة واحدة وحوالي 140 عضو؛ والكنيسة الروسية الأرثوذكسية، التي تملك كنيستين و 100 عضو؛ وكنيسة الروم الأرثوذكس، ثلاث كنائس في جربة وسوسة وتونس و 30 عضواً.

في حين اعترف حزب حركة النهضة الإسلامية الحاكم الاعتراف بالمسيحيين ودعمهم الكامل، إلا أن التهديدات والخطابات المعادية للمسيحيين من قبل المتطرفين المسلمين في ازدياد بعد الثورة التونسية، مما أثار الخوف وانعدام الأمن بين صفوف المسيحيين.

اليهود

يتمتع اليهود بتاريخ غني في تونس. وفق التقليد اليهودي، توافد اليهود إلى تونس للمرة الأولى عام 586 قبل الميلاد إثر دمار الهيكل الأول. وفي عهد الرومان ومن بعدهم الفاندال – المتساهلين نسبياً – ازدهر اليهود وازدادت أعدادهم. دفع ذلك بمجالس الكنيسة الإفريقية إلى إصدار قوانين تقييدية ضد اليهود، مما حدّ من سلطتهم ونفوذهم، بالإضافة إلى ذلك، وجب على اليهود في عهد الرومان دفع جزية قدرها 2 شيكل، في المقابل، حصل اليهود على الجنسية الرومانية في ذلك الوقت: معظمهم كانوا يتحدثون اللغة اللاتينية ويحملون اسماً رومانياً. وعندما

[1] شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ،ص 108 .

احتل الإغريق المنطقة التي تعرف اليوم بتونس في القرن السادس، شن الإمبراطور جستينيان حملة اضطهاد ضد اليهود أدت إلى تصنيفهم بالوثنيين والآريوسيين.

في القرنين السابع والثامن، ارتفع عدد اليهود في تونس، ويعزى ذلك بالدرجة الأولى إلى وصول المهاجرين الأسبان الذين فروا من اضطهاد الملك سيسبوت، ملك القوط (توفي عام 620 أو 621). ومع وصول العرب إلى تونس وسيطرتهم على المنطقة، استقرت موجة من اليهود العرب الآتين من المشرق العربي في المغرب العربي[1].

وفي عهد الإمام إدريس الأول، الذي أَعلن عام 788 استقلال موريتانيا عن خلافة بغداد، انضم بعض اليهود التونسيين للمحاربة في صفه، غير أن هذا التحالف لم يدم طويلاً حيث رفض عدد كبير منهم الهجوم على اليهود المتواجدين في موريتانيا والذين كانوا يدعمون خلافة بغداد. بالإضافة إلى ذلك، أدانوا احتقار إدريس للنساء اليهوديات[2].

عندما تأسست سلالة الأغالبة حوالي عام 800، إثر قتل إدريس الأول بالسم عام 791، ازدهر اليهود واكتسبوا نفوذاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. في بنزرت، على سبيل المثال، تولى يهودي منصب الحاكم. وبشكل خاص، تمتع يهود القيروان بالثروة في ذلك الوقت، لكن مع انتقال السلطة إلى الحاكم الرابع من السلالة الزيرية، المعز بن باديس، في أوائل القرن الحادي عشر، بدأت موجة أخرى من الاضطهاد ومضايقة جميع الديانات المخالفة للأرثوذكسية.[3] وازداد الأمر سوءً بعد قرن، عندما قام عبد المؤمن وخلفاؤه من سلالة الموحدين بإرغام اليهود والمسيحيين في تونس على التحول إلى الإسلام. وبعد اعتناقهم للإسلام، وجب عليهم ارتداء ملابس خاصة تميزهم، لأن السلطات لم تقتنع بأن المسلمين الجدد كان صادقين باعتناقهم الإسلام.

حكمت سلالة الحفصيين تونس في الفترة الممتدة ما بين 1229-1574، مما أدى إلى تحسين ظروف معيشة اليهود، غير أن الممارسات والقوانين التمييزية تواصلت. وفي حين كان اليهود متواجدين في مدن القلعة والمهدية) المغرب (وجربة ومدينة تونس، إلا أنه حُظّر عليهم في البداية العيش داخل مدينة تونس. وإثر انتصار الملك الفرنسي لويس التاسع الذي أطلق حملة صليبية على تونس في القرن الثالث عشر، أُعلنت بعض المدن مثل القيروان كمدن مقدسة، فاضطر اليهود الذين يعيشون فيها إلى مغادرتها أو اعتناق الدين الإسلامي.

[1] احمد بن عامر: تونس عبر التاريخ ، ص88 .
[2] .حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ، ص 123،
[3] نفسه ،ص 130.

كما اشتد الاضطهاد في القرنين اللاحقين، كما يتضح من جدول الضرائب المعقّد الذي فُرض على اليهود: فإلى جانب الضريبة العامة التي كانت مفروضة على المسلمين أيضاً، فُرض على اليهود دفع الجزية. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك ضريبة سنوية خاصة على اليهود العاملين في مجال الصناعة أو التجارة.

في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وصلت مجموعة من اليهود الإيطاليين إلى تونس، مما نتج عنه انقسام اليهود إلى جماعتين: المهاجرين (الجرانة) والأصليين (التوانسة). ونظراً إلى أن جماعة الجرانة احتفظوا بالجنسية الإيطالية، فقد كان وضعهم القانوني أرفع شأناً وكانوا يعيشون في الأحياء الأوروبية. وبالتالي لم يتعرضوا للإذلال والتهديدات الأمنية التي تعرض لها التوانسة. ومع احتلال العثمانيين لتونس، تحسن الوضع الأمني لليهود التوانسة. فقد استقل اليهود نسبياً في تلك الفترة وكانوا يمارسون شعائرهم الدينية بحرية، غير أنهم تعرضوا لكافة أنواع الإذلال. فعلى سبيل المثال، كان يتوجب عليهم ارتداء ملابس خاصة تميزهم، ولم يكن يسمح لهم بركوب الخيل، وإذا ركبوا (على البغل مثلاً) كانوا يمنعون من استخدام السرج[1].

مع تزايد النفوذ الأوروبي في تونس في بداية القرن الثامن عشر، بدأ اليهود يتمتعون بقدر أكبر من الحقوق. يعزى ذلك إلى قيام السلطات الأوروبية بتحسين أوضاع المسيحيين الذين كانوا يخضعون للقوانين ذاتها التي كان يخضع لها اليهود في تلك الفترة. وفي عهد محمد باي (1855-1881)، تم إلغاء القيود التي كانت مفروضة على اليهود. كما وقع محمد باي وثيقة عهد الأمان ووضع دستوراً استمر حتى عام 1864،[2] والذي نصّ للمرة الأولى على المساواة في الحقوق لجميع التونسيين بغض النظر عن العقيدة. ووفق الفقرة الرابعة من الدستور "لا يجوز إرغام أي فرد يهودي بأية طريقة كانت على تغيير دينه كما لا يجوز منعه من ممارسة شعائره الدينية بحرية. ويجب احترام معابده وحفظها من الإهانة"؛ وتضيف الفقرة السادسة "في حالة إصدار المحكمة الجنائية الحكم على يهودي، يجب تواجد قضاة يهود أعضاء في المحكمة المذكورة[3]."

إلا أن وثيقة عهد الأمان فرضت على الشعب التونسي دفع المزيد من الضرائب، وبالتالي لاقت معارضة من معظم المواطنين الذين كانوا يعيشون في ظل ظروف اقتصادية صعبة. وأدى التزعزع الاقتصادي في تلك الفترة إلى ثورة ضد القادة وإلغاء الدستور عام 1864 وتراجع وضع اليهود مرة

[1] شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ،ص 115.
[2] احمد بن عامر:تونس عبر التاريخ ،ص 110،
[3] نفسه ، ص115.

أخرى. وكان للغزو الفرنسي لتونس، في أواخر القرن التاسع عشر إلى فرض الحماية على البلاد عام 1881، تأثير كبير على نمو اليهود حتى يومنا هذا. ومع رفع شعار "الحرية والمساواة والإخاء"، أمل اليهود بتحسن ظروف معيشتهم في ظل الحماية الفرنسية.

فسارعوا إلى اعتماد نمط المعيشة الفرنسي، كما حصل البعض منهم على الجنسية الفرنسية، فأقصوا بأنفسهم أكثر عن الغالبية المسلمة في تونس. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت اللغة الفرنسية اللغة الأم بالنسبة إلى العديد من اليهود التونسيين الذين كانوا يتحدثون في السابق اليهودية العربية. وبالتالي، صدرت 78 صحيفة يهودية في الفترة الممتدة بين العامين 1878 و 1963 باللغة العربية اليهودية و 65 باللغة الفرنسية و 16 صحيفة فقط باللغة العبرية[1].

المبحث الثالث: أهم الحضارات التي تعاقبت على تاريخ تونس

عرفت تونس تاريخا يعود لعهود سحيقة إذ يعود ظهور الإنسان في المنطقة التي تعرف اليوم بتونس إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث تم العثور على آثار نشاط إنساني يعود إلى العصر الحجري القديم السفلي وذلك تحديدا في موقع القطار (بمدينة قفصة) والذي اكتشف فيه عالم الآثار جراي كوما من الحجارة مخروطي الشكل يعتقد أنه تعبير عن معتقد ما ويُرَجّحُ أنّه من أقدم المعالم الدينية التي عرفتها البشرية.

تُعدّ الحضارة القبصية (6.800 ق.م. إلى 4.500 ق.م.) أول مظاهر المجتمعات الإنسانية المنظمة بالمنطقة، وفي هذه الفترة وفد البربر الأمازيغ كما يبدو مع هجرة الشعوب الليبية (تعبير اغريقي عن الشعوب الأفريقية آنذاك) وإن كان لا يعرف أصل الشعوب الأمازيغية بالتحديد ويعتبرهم كثيرون السكان الأصليين للبلاد.

عرفت المنطقة تعاقب العديد من الحضارات التي جلبتها ثروات هذه الأرض وأهمية موقعها الإستراتيجي في قلب حوض البحر الأبيض المتوسط وساعد على دخولها الانفتاح الطبيعي لتونس وسهولة تضاريسها. ويُعدّ قدوم الفينيقيين سنة 1101 ق.م. لغايات تجارية بداية دخول المنطقة فترة التاريخ. أما تأسيس قرطاج سنة 814 ق.م. فيُعدّ البداية الحقيقية لدخول شمال إفريقيا القديم في صلب التاريخ وذلك في علاقة بعامل التأثّر والتأثير على المستوى الحضاري.[1]*(814 ق.م. – 146 ق.م.)*

[1] احمد بن عامر ، نفسه ، ص 120.

أقام السكان الموجودون بالبلاد التونسية علاقات تجارية مع الفينيقيين منذ القرن 11 ق.م.[1] حيث قام هؤلاء بإنشاء مرافق لتبادل البضائع تعتمد في أغلب الأحيان على المقايضة. وتعتبر أوتيكا من أهم هذه الموانئ وكان تأسيس عليسة لقرطاج كقاعدة عسكرية لحماية الموانئ التجارية على الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وعلى إثر الإضرابات التي نشبت في فينقيا قامت مجموعة من التجّار بالفرار إلى قرطاج (قرط جدشت) المدينة الجديدة والاستقرار فيها بمرور الزمن ضعفت الإمبراطورية التجارية الفينيقية وورثت قرطاج أمجادها ومستعمراتها وقامت بتوسيع رقعتها لتشمل جزءا كبيرا من سواحل البحر الأبيض المتوسط، ونظرا لموقعها الإستراتيجي والمُطل على حوضي المتوسط، استطاعت بسط نفوذها والسيطرة على حركة التجارة بشكل لم يكن لينال رضاء القوة العظمى آن ذلك. حيث شكل التوسع القرطاجي خطرا على مصالح ونفوذ الإغريقيين مما أدى إلى اشتباكات عسكرية بين الدولتين.[2]

الإمبراطورية القرطاجية:

وفي سنة 753 ق.م برز كيان جديد في شبه الجزيرة الإيطالية تحت اسم روما ودخلت روما حلبة الصراع منافسة قرطاج، الشيء الذي أدى إلى نشوب سلسلة من الحروب (سنة 264 ق.م) اشتهرت باسم الحروب البونيقية ولعل أشهرها حملة حنبعل (الحرب البونيقية الثانية) الذي قام بعبور سلستي البيريني والألب بفيلته (218 ق.م. – 202 ق.م.). انتهت هذه الحروب البونيقية بهزيمة القرطاجيين واضعافهم بشكل كبير خاصة بعد حرب زوما المفصلية مما مهد الطريق لحرب ثالثة وحاسمة انتهت بزوال قرطاج وخراب المدينة وقيام الرومانيون بإنشاء "أفريكا" أول مقاطعة رومانية بشمال إفريقيا وذلك سنة 146 ق.م.

كماهو في الملاحق رقم 1 ص 82.

الفترة الرومانية :*(146 ق.م – 431 م)*[3]

سنة 44 ق.م قرر الامبراطور الروماني يوليوس قيصر اعادة بناء مدينة قرطاج بعد أن كانت أوتيكا العاصمة ولكن أعمال البناء لم تبدأ رسميا إلا مع خلفه أوغيست وبذلك بدأت فترة ازدهار في المنطقة حيث أصبحت أفريقية مخزن حبوب روما.

ازدهرت مدن رومانية أخرى بالتزامن مع أرض قرطاج ومازلت الآثار شاهدة على بعض منها مثل دقة بولاية باجة والجم بولاية المهدية.

[1] احمد بن عامر : تونس عبر التاريخ ،ص125.
[2] حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط3، ص 126.
[3] علي الزواوي : الوافدون علي مدينة تونس خلال القران 18-19، ص 250.

أدى نمو قرطاج السريع إلى تبوئها مكانة ثاني مدينة في الغرب بعد روما إذ ناهز عدد سكانها مائة ألف نسمة. وبدأ انتشار المسيحية في تلك الفترة والذي لاقى في البداية معارضة كبيرة من السكان ولم يحسم الأمر للدين الجديد إلا مع القرن الخامس وأصبحت قرطاج إحدى العواصم الروحية الهامة للغرب آنذاك.

التنافس الروماني القرطاجي حول الحوض الغربي للمتوسط أدى بهما إلى التصادم عسكريا في حروب ثلاثة عرفت بالحروب البونية بين قرطاج وروما اندلعت الأولى سنة 264ق م إلى 241م ق و التي سميت بحرب صقلية أما الثانية و التي سميت بحرب حنبعل فامتدت بين 219 و 201 قم لينتهي هذا الصراع بتخريب قرطاج و إحراقها خلال الحرب الثالثة 149-146 قم . بعد ذلك تعددت محاولات إعادة إعمار قرطاج لكنها فشلت لأسباب مختلفة أهمها محاولة كايوسقراكوس و محاولة يوليوس قيصر لكن إغتياله حال دون إتمام مشروعه. 27ق م يقرر أقتاوينوس ابن يوليوس قيصر بالتبني و مؤسس النظام الإمبراطوري إعادة بناء قرطاج (أقتاوينوس الملقب بأوغسطوس أول الأباطرة الرومان) [1].

بعد إتمام البناء أصبحت قرطاج عاصمة للولاية الرومانية الجديدة التي سميت إفريقيا البرونصلية و التي امتدت على كامل البلاد التونسية الحالية و جزء من شرقي الجزائر . إزدهرت المنطقة خلال العهد الروماني على جميع الأصعدة ، من ذلك عمرانيا فالمجال التونسي احتوى خلال العهد الروماني على أكثر من 200 مدينة بكل معالمها الرومانية المعروفة و من هذ ه المدن نذكر إضافةالى قرطاج هدرومتوم (سوسة) نيابوليس (نابل) توقا (دقة) مكتريس (مكثر) سيكا فينيريا (الكاف) أوينا (أوذنة) تيسدروس (الجم)[2] وغيرها من المدن التي أنشات أو أعيد تهيئتها على النمط الروماني لتوطين الجيوش و عائلاتهم و المهاجرين الإطاليين.

تميزت من بين هذه المدن قرطاج بإعتبارها عاصمة الولاية و ثالث مدينة في العالم الروماني بعد روما و القسطنطينية من حيث الحجم و عدد السكان فهي تمسح 315 هكتار و تعد حوالي مليون ساكن في أواخر القرن الثاني الميلادي.تعددت و ظائف المدينة في إفريقيا البروقنصلية على غرار المدن الرومانية من سياسية و سكنية و احتوت جملة من العالم المتصلة بهذه الوظائف من فوروم (الساحة العمومية) و الكابيتوليم (معبد الديانة الرسمية للدولة الرومانية) و حمامات و مسارح نصف دائرية و دائرية كمسرح مدينة تيسدروس .[3]

[1] احمد عامر : تونس عبر التاريخ ،ص 127.
[2] نفسه ،ص130.
[3] نفسه ص 135.

كما تميزت المنطقة عن سائر الولايات الرومانية بإزدهار فن الفسيفساء الذي تأثر في إفريقيا البروقنصلية بالمدرسة الإسكندرية (أي اعتماد المكعبات متعددة الألوان) فقد إنتشرت اللوحات الفسيفسائية في كامل مدن الولاية بل تنافس الأثرياء فيما بينهم في تزيين بلاطات منازلهم باللوحات الفسيفسائية و تنوعت المواضيع التي جسدتها هذه اللوحات ، إذ نجد اليوم بالمتاحف التونسية لوحات تمثل مشاهد صيد ، و اخرى بها مشاهد مصارعة كذلك نجد لوحات تبرز مشاهد عن الحياة اليومية ، مشاهد عن الزراعة و الأعمال الفلاحية ، لوحات تبرز المعتقدات و الآلهة ....المجال الثاني الذي ميز الولاة الرومانية هو الفلاحة إذ سمت تونس خلال العهد الروماني (مطمور روما) و ذلك لأهمية إنتاجها الفلاحي و خاصة إنتاج الحبوب و زيت الزيتون فخلال القرن الثالث الميلادي اغتنمت الولاية فرصة تدهور الاقتصاد الإيطالي لإحياء غراسة الأشجار المثمرة بعد أن قضي عليها إثر إحراق قرطاج سنة 146 ق م وبفضل التقاليد الفلاحية المكتسبة منذ العهد القرطاجي و أيضا بفضل تعدد التشريعات والقوانين المشجعة على العمل في الفلاحة أضحت الولاية توفر كامل حاجيات روما الغذائية بمفردها وقدرت صادرات قرطاج من الحبوب إلى روما حسب المصادر الرومانية بحوالي 1.2 مليون قنطار هذا إضافة إلى بقية المنتوجات الأخرى كالزيوت و الخمور .

أيضا في مجال الفكر كان للولاية إسهاماتها في إثراء الحضارة الرومانية فروائع أبولوس لا تزال تثري إلى اليوم الأدب الغربي ، و أبولوس من أصل إفريقي . كطلك في هذا الإطار نذكر القديس أوغسطينوس الذي عاش بين 350 و430 ميلادي و الذي وضع فلسفة مسيحية أثرت في الفكر المسيحي الغربي حتى أزمنتنا الحديثة .

في مجال السياسة و الحكم كان لولاية إفريقيا البروقتصلية أيضا كلمتها فالعائلة السيفيرية التي حكم أبناؤها الإمبراطورية هي من أصل إفريقي وأشهر أبنائها الإمبرطور سيبتيموس سوريوس أو سيبتيم سيفار الذي حكم بين 193 و211 م .[1]

الفترة الوندالية: *(431 – 533)*

عبر الوندال مضيق جبل طارق في 429 م وسيطروا سريعا على مدينة قرطاج حيث اتخذوها عاصمة لهم. وكانوا أتباع الفرقة الأريانية والتي اعتبرتها الكنيسة الكاثوليكية آنذاك فرقة من الهراطقة كما اعتبرهم السكان برابرة وأدى ذلك إلى حملة قمع سياسي وديني واسعة ضد المعارضين بدأت مناوشات بين

[1] احمد بن عامر: تونس عبر التاريخ ص 132

الوندال والممالك البربرية المتاخمة للدولة وكانت انهزام الوندال سنة 530 م الحدث الذي شجع بيزنطة على القدوم لطرد الوندال.

ينطوي تاريخ تونس على سجل حافل من الحقب التاريخية المهمة والفترات الزمنية الثرية بالأحداث مما يجعل هذه الأحقاب جديرة بالدراسة والبحث والتنقيب قصد استجلاء تفاصيلها وسبر أغوارها وتتبع حركات الاندفاع والإشراق فيها.ومن بين هذه الفترات التاريخية فترة المملكة الوندالية بأرض تونس من 439 إلى 533 للميلاد، والوندواليون (فرع من الجرمانيين) هم ورثة الامبراطورية الرومانية، تركوا إسبانيا وغزوا إفريقيا الشمالية عبر البحر المتوسط تحت قيادة ملكهم جنسريق، وكان ذلك تحت ضغط القوط الغربيين. وستحظى فترة الوندواليين بمعرض خاص تنظمه وزارة الثقافة والمحافظة على التراث بالتعاون مع المعهد الوطني للتراث ومتحف "كالشرو" الألماني تحت عنوان "ورثة الامبراطورية الرومانية المملكة الوندالية" الذي سيفتتح يوم 24 أكتوبر 2009 في ألمانيا. ويتواصل العرض على امتداد أربعة أشهر وهو يشتمل على قطع أثرية هامة تؤرخ للفترتين الوندالية والبيزنطية تم انتقاؤها بكل عناية من مختلف المتاحف التونسية.

وقد سبق أن عرض متحف "كالشرو" الألماني مثل هذه التظاهرات الثقافية التي تعرف بثراء تاريخ تونس لعل اهمها معرض حنبعل وقرطاج وكان ذلك سنة 2005 والذى لاقى نجاحا باهرا بلغ صداه جميع البلدان الأوروبية.[1]

وتعود أصول متحف "كالشرو" إلى القرن السادس عشر ويحتوي على مجموعة من التحف النادرة ترجع إلى العصور القديمة وبعض القطع الفنية التي جمعت على مر الزمن من خلال جهود الأسرة الدوقية الكبرى بادن وبعد عام 1945 تم تطوير المتحف من خلال عمليات توسعة للمساحة التي يشغلها ومن ثم أصبح هذا المعلم من المتاحف الألمانية الكبرى ذات السمعة الدولية المرموقة.

كما ستمثل هذه التظاهرة مناسبة لاكتشاف شواهد أثرية للحقبة البيزنطية الممتدة من 533 إلى 647 للميلاد بالاضافة إلى قطع فريدة تؤرخ لبداية الحضور العربي الإسلامي بتونس مثل صفحات من القرآن الكريم وعدد من الشواهد الجنائزية والقطع الخزفية والبلورية. ويقدم المعرض كذلك قطعا أثرية متنوعة أخرى يناهز عددها 318 قطعة تم اختيارها من متاحف وطنية وجهوية تونسية مثل متاحف

[1] حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 ، ص125.

قرطاج وباردو وأوذنة وبوبوت وهرقلة ومكثر وحيدرة وسبيطلةوتلابت وهي تعكس ابداعا في فن الخزف والفسيفساء والحلي الوندالى اضافة لكنز "مدينة شمتو" ومنحوتات وتماثيل وتوابيت.[1]

وعلى هامش تنظيم المعرض سيتولى عدد من الباحثين من المعهد الوطني للتراث تقديم محاضرات تتمحور حول التاريخ القديم للبلاد التونسية وتطور المتاحف ودورها في دعم السياحة الثقافية.

وكان الوندال قد سيطروا على نوميديا وما يليها غرباً واتخذوا من بونة عاصمة مملكتهم واستغلوا في ذلك ضعف روما وتمزقها وكذلك اشتغال الرومان بحرب القوط، فلم يهمل ملك الوندال "جنسريق" هذه الفرصة وذهب إلى قرطاجنة ففتحها من غير عناء واستولى على البروقنصلية وتم له بذلك الاستيلاء على تونس والجزائر ومراكش وذلك سنة 439م.

وقد أقام جنسريق في إفريقيا دولة عظيمة حسب التقاليد الجرمانية التي لم يتردد في إدخال تغييرات عليها كلما اقتضى الأمر ذلك ولقد استقام لملك الوندالوالآلان منذ سنة 442م ملك مطلق.

وتعود سرعة احتلال الوندال لشمال إفريقيا إلى مساعدة البربر لهم والسبب في ذلك أنهم كانوا ينفرون من سلطة روما ويطمحون إلى الاستقلال.[2]

الفترة البيزنطية:

سيطر البيزنطييون بسهولة على قرطاج سنة 533 م ثم انتصر الجيش البيزنطي الوندالية والتي كانت أقوى تشكيل في جيش الوندال. واستسلم آخر ملك وندالي سنة 534 م.

هجر أغلب الشعب الوندالي قسرا إلى الشرق أين أصبحوا عبيدا بينما جند الباقون في الجيش أو كعمال في مزارع القمح.

سرعان ما عاد الحكام الجدد إلى سياسة القمع والاضطهاد الديني كما أثقلوا كاهل الناس بالضرائب مما حدى بهم إلى الحنين إلى سيطرة الوندال على مساوئهم.

شهدت هذه الفترة تطورا كبيرا في العمران والعلوم والفكر. سكن الفينيقيون أو البونيقيون شمال أفريقيا منذ 1900 إلى 146 ق م وأسسوا قرطاج سنة 814 ق م بقدوم شخصية أسطورية تحكمهم يقال أنها تسمى "عليسة"، قدموا من صور بلبنان وأقاموا معابد وحكموا البلاد قرونا حتى ضعفت صور بسقوطها بأيدي نبوخذ نصر سنة 573 ق م، فعظم دور قرطاج التي اصطدمت بروما في الحروب البونيقية الثلاثة إلى أن سقطت و دمرت بيد الرومان سنة 146 ق م، فحكموها خمس قرون وتسارعت حركة أنتشار الحضارة الرومانية في القرن الثاني و الثالث بعد الميلاد وظل الأفارقة السكان الأصليون

[1] حسن حسني عبد الوهاب، نفس المرجع السابق ، ص 130.
[2] نفسة ،ص 128.

البرابرة لشمال أفريقيا يعانون من العنصرية الرومانية إذ ليس من السهل الحصول على "مرتبة المواطن الروماني"

وأنتقلت المسيحية إلى روما عن طريق الحواري Pierre في عهد حاكم روما آنذاك، وصارت المسيحية الديانة الرسمية لروما في عهد الإمبراطور Constantin سنة 313 م[1] ولم تعرف إفريقية انتشارا للمسيحية بحكم انحسارها في طبقة الرومانيين الأصليين إلى قدوم القديس أوغسطين (354 – 430 م)، المولود بسوق أهراس، (طاغاست) بالجزائر والذي درس بقرطاج، عرفت المسيسحية طريقا إلى شمال أفريقيا.

وفي سنة 429 م نزل الوندال، وهم أقوام من الدانمارك، واحتلوا تونس تحديدا واستقروا بقرطاج، ولم يلبث أن سقط عرش الوندال سنة 533 م بنزول جيش القسطنطينية "البيزنطيون" بكاب أفريكا ما يعرف بالشابة اليوم، الذين حكموا شمال إفريقيا (على السواحل) وأحيوا المسيحسةالأرتدكسية التي أتوا بها من المشرق، وبقيت شمال إفريقيا تمول روما والقسطنطينية بالحبوب والمنتجات الزراعية إلى أن عرفت "بمطمورة روما.[2]

الفتح الإسلامي :

استقر الإسلام في المنطقة بعد ثلاث فتوحات متتالية عرفت مقاومة كبيرة من البربر بينما لم تُعَرّب شعوب المنطقة إلا بعد ذلك بقرون طويلة.

كانت أولى الفتوحات سنة 647م وعرفت بفتح العبادلة لان قادتها يحملون اسم عبد الله وقد كان اسم المعركة الآخر هو معركة سبيطلة حيث فتحوا المدينة وقتلوا حاكمها جرجيريورس أو كما كانوا يسمونه جرجير وأسروا ابنته.[3]

وقعت الحملة الثانية سنة 661م وانتهت بالسيطرة على مدينة بنزرت. أما الحملة الثالثة والحاسمة فكانت بقيادة عقبة بن نافع سنة 670م وتم فيها تأسيس مدينة القيروان والتي أصبحت فيما بعد القاعدة الأمامية للحملات اللاحقة في إفريقية والأندلس. إلا أن مقتل عقبة بن نافع سنة 683م على يد كسيلة أفقد العرب السيطرة وقتيا على القيروان واضطر الفاتحون إلى حملة رابعة ونهائية بقيادة حسان بن النعمان سنة 693م أكدت سيطرة المسلمين على إفريقية رغم مقاومة شرسة من البربر بقيادة الكاهنة.

[1] الهادي التيمومي : تونس والتحديث تاريخ لغير المختصين ،2010، ص 130.
[2] الطاهر عبد الله :الحركة الوطنية التونسية ،جار المعارف للطباعة والنشر ، ط 2 ، سوسه – تونس ، 2008 ، ص 109.
[3] الطاهر عبد الله، نفس المرجع السابق ، ص20.

وتمت السيطرة على قرطاج سنة 695م ورغم بعض الانتصارات للبربر واسترجاع البيزنطيين لقرطاج سنة 696م فإن المسلمين سيطروا بصفة نهائية على المدينة في 698م وقتلت الكاهنة في السنة نفسها.

لم تسترجع قرطاج هيبتها بعد ذلك وتم استبدالها بعد ذلك بميناء تونس القريب والذي كان مركز انطلاق للغزوات في البحر باتجاه صقلية وجنوب إيطاليا.

بعد ذلك اتجهوا الفاتحون الجدد إلى القرى البريك ونشروا الإسلام في صفوف البربر الذين أصبحوا من ذلك الحين رأس الحربة في الفتوحات اللاحقة وخاصة في الأندلس بقيادة طارق بن زياد.

احتوت مدينة القيروان على العديد من مراكز تعليم الإسلام إلا أن بعد إفريقية عن المشرق مهد الديانة ومركز الحكم أدى إلى انتشار الفرق الإسلامية التي لا تنتمي إلى أهل السنة وخاصة الفكر الخارجي.

أشرق نور الإسلام في مكة المكرّمة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فدخل الناس في دين الله أفواجا، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان الإسلام قد عم جزيرة العرب، ثم انتشر الصحابة خارجها فاتحين وناشرين لدعوة الإسلام. وفي أقل من ربع قرن أتموا فتح كل من العراق وبلاد الشام ومصر، وما إن أتم المسلمون الفتح النهائي لمصر سنة 21 هـ حتى سارع عمرو بن العاص ففتح برقة (بين الإسكندرية وطرابلس بليبيا) سنة 22 هـ، وطرابلس سنة 23 هـ، وترك جزءا من جيشه للحفاظ على البلاد المفتوحة ونشر الإسلام بين أهلها لمن رغب فيه. وكان ضمن هذه الحامية عقبة بن نافع الفهري الذي كان له بعد ذلك شأن عظيم في تاريخ إفريقية والمغرب.

ففي هذه السنة 22 هـ بات عمر بن الخطاب ليلة مهموما يفكر من يولي على الكوفة وقد رفض أهلها أن يولى عليهم عمار بن ياسر ومن بعده أبو موسى الأشعري فكانت ولاية الكوفة مبعثة للقلق، وأمام تقدم فتوحات المسلمين في أرض البحرين وفارس والسند والترك والأكراد ومصر قلق عمر بن الخطاب وأحس بتسارع الأحداث، فلما أراد عمرو ابن العاص أن يتوغل باتجاه الروم (تونس) منعه من ذلك، ثم كان يوم الأربعاء 27 ذي الحجة سنة 23 هـ الموافق لـ 3 نوفمبر 644 م هو اليوم الذي طعن فيه عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي ودفن يوم الأحد 7 نوفمبر 644 م الموافق للأول من 24 هـ، فدفن معه العدل في ذلك اليوم.[1]

إلى أن جاءت ولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الأربعاء 4 محرم 24 هـ، فعزل عمرو بن العاص سنة 26 هـ وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر فسار ومعه عقبة بن نافع الفهري

[1] حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط3، ص 133.

على رأس جيش يضم عشرين ألفا، قال الطبري خرج منهم عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين، وعرفت هذه الغزوة "بغزوة العبادلة السبع" والتي جرت أحداثها بمدينة سبيطلة سنة 27 هـ الموافق لـ 648 م حيث قتل قائد الجيش البربري جرجير وأصاب المسلمون من هذه الغزوة أموالا لم يصيبوا مثلها، فكانت إفريقية من أعظم الفتوح عند المسلمين، قال الطبري كانت أحسن امة سلاما وطاعة وأهل إفريقية من أحسن أهل البلدان وأطوعهم إلى ولاية هشام بن عبد الملك، حتى دب إليهم أهل العراق فاستثاروهم وشقوا عصاهم وفرقوا بينهم .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، كان يكتب للنبي فأزله الشيطان فلحق بالكفر فأمر النبي أن يقتل يوم الفتح، فلما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله عند عثمان بن عفان (وهو أخوه لأمه) فجاء به حتى أوقفه على النبي وهو يبايع الناس، فقال يا رسول الله بايع عبد الله (بن أبي سرح) ! فبايعه بعد ثلاث أيام، ثم أقبل على الصحابة فقال : ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا (يقصد عبد الله بن أبي سرح) حين رآني كففت يدي عن مبايعته فيقتله.

العبادلة السبعة: أشهرهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص .

1- الدولة الأغلبية:

بقيت القيروان عاصمة لولاية أفريقية التابعة للدولة الأموية حتى 750م ثم الدولة العباسية ولم تشهد المنطقة حكما مستقلا إلا بقيادة إبراهيم ابن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية بقرار من هارون الرشيد سنة 800م والذي كان يريد بذلك وضع سد أمام الدويلات المنتشرة في غرب أفريقية أين انتشر الفكر الخارجي. ونشر فكرة المصحف الازراق كما هو في الملاحق رقم 2ص82

دام حكم الأغالبة 109 سنوات وازدهرت خلاله الحياة الثقافية وأصبحت القيروان مركز إشعاع كما شهدت نفس الفترة تأسيس أسطول بحري قوي لصد الهجومات الخارجية والذي مكن أسد بن الفرات لاحقا من فتح جزيرة صقلية.[1]

1- الدولة الفاطمية:

شكل وصول بني أمية إلى سدة الحكم بعد مقتل الإمام علي نقطة انطلاق تنظيم الشيعة العلويين وتحلقهم حول ذرية الإمام من السيدة فاطمة الزهراء، الحسن والحسين. كما أعطى مقتل الإمام الحسين شحنة جديدة زادت من تكتلهم ومن تقوية صفوفهم وذلك حتى نهاية الحكم الأموي.

[1] احمد بن عامر:تونس عبر التاريخ ، ص 155.

لم يتغير وضع الشيعة كثير بعد وصول أبناء أعمامهم العباسيون إلى الحكم مما زاد شعورهم بالإحباط والكبت. وفي عهد الخليفة المنصور ظهرت عدة فرق في صفوف الشيعة لعل أهمها وأكثرها تنظيما سواء من ناحية العقدية أو السياسية الفرقة الاسماعيلية أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق.

بوفاة إسماعيل بن جعفر بدأت فترة الأئمة المستورين الذين لم يكن لهم مشاركة في الحياة السياسية وهم: الوافي أحمد والتقي محمد والزكي عبد الله والتي انتهت بظهور المهدي عبد الله والمعروف أكثر باسم عبيد الله المهدي.

استطاع عبد الله الشيعي في غضون 7 سنوات الاستيلاء على أغلب مناطق شمال إفريقيا وذلك بمساعدة بعض القبائل البربرية التي استجابت إلى دعوته واعتنقت المذهب الإسماعيلي. وبعد انتصارهم على الجيش الأغلبي دخل عبيد الله رقادة يوم الخميس 20 ربيع الثاني سنة 296 هـ/6 جانفي 909 م والتي كان زيادة الله الثالث قد تخلى عنها. أسس عبيد الله المهدي عاصمة جديدة سماها المهدية،[1] تداول على الخلافة الفاطمية في المهدية من الخلفاء اربعة و هم عبيد الله المهدي فالقائم بأمر الله فالمنصور فالمعز لدين الله. دام حكم الفاطميين في تونس 64 عاما عرفت فيها البلاد ازدهارا كبيرا. عام 969 تمكن الفاطميون من فتح مصرعلى يدي جوهر الصقلي الذي أسس القاهرة، لينقلوا إليها عاصمتهم عام 973.استخلف المعز على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي و بذلك تأسست الدولة الصنهاجية.

- **الدولة الصنهاجية:**

لما انتقل الفاطميون إلى مصر ولوا على إفريقية أميرا من أصل أمازيغي يدعى بلكين بن زيري بن من اذ الصنهاجي. استطاع بلكين القضاء على الفتن والثورات القبائلية المجاورة على حدود البلاد مما مكنه من تعزيز حكمه والاحتفاظ بالأراضي الشاسعة التي ورثها عن الفاطميين. في بداية القرن الحادي العشر خرج والي أشير حماد بن بلكين عن سلطة الصنهاجيين مما أدخل الطرفين في حرب طاحنة دامت عدة سنوات. فقد الصنهاجيون شيئا فشيئا جزءا كبيرا من المغرب الأوسط (الجزائر) لتقتصر في النهاية رقعة دولتهم أساسا على تونس وصقلية.

شهدت البلاد في عهد الصنهاجيين نهضة عمرانية وثقافية واقتصادية كبيرة، فازدهرت الزراعة في أنحاء البلاد بفضل انتشار وسائل الري، ووقع تشييد العديد من القصور والمكتبات والأسوار والحصون، فيما أصبحت عاصمتها القيروان مركزا هاما للعلم والأدب.

[1] الحسينيون: في تونس نسخة محفوظة 24 ديسمبر 2017.

عام 1045 أعلن الملك الصنهاجي المعز بن باديس خروجه عن الخلافة الفاطمية في القاهرة وانحيازه إلى الخلافة العباسية في بغداد. قامت قيامة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي أذن، بإيعاز من وزيره أبو محمد الحسن اليازوري، للقبائل البدوية المتمركزة في الصعيد بالزحف نحو تونس. أدى زحف القبائل البدوية (أساسا بنو هلال وبنو سليم) إلى تمزيق أوصال الدولة الصنهاجية وإلى خراب عاصمتهم بعد تعرضها للسلب والنهب.[1]

بعد الغزو الهلالي أصبحت البلاد مقسمة بين عدة دويلات أهمها إمارة بنو خرسان في مدينة تونس والوطن القبلي، ومملكة بنو الورد وعاصمتها بنزرت، ومملكة بنو الرند وعاصمتها قفصة فيما حافظ الصنهاجيون على منطقة الساحل و إتخذوا من المهدية عاصمة لهم.

- **الفترة الموحدية:**

عام 1060 انتهز النورمان انهيار الدولة الصنهاجية ليستولوا على صقلية لتصبح البلاد عرضة لغاراتهم. في عام 1135 تمكن روجيه الثاني من احتلال جزيرة جربة تبعها عام 1148 احتلال المهدية، سوسة، وصفاقس. استنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي بعبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية في المغرب لطرد الغزاة. استطاع الموحدون في السنوات التالية استرجاع كامل الأراضي التونسية من النورمان ليصبحوا مسيطرين على معظم أجزاء المغرب الكبير وجزء من الأندلس.[2]

- **الدولة الحفصية:**

عام 1207 ولى الموحدون على إفريقية أحد أتباعهم وهو أبو محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ابن الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الذي رافق محمد بن تومرت أثناء دعوته. عام 1228 تمكن أبو زكريا يحيى بن حفص من الانفراد بالمنصب لصالحه وأعلن منذ ديسمبر 1229 استقلاله عن الموحدين. إتخذ أبو زكريا مدينة تونس عاصمة له وإتخذ لنفسه لقب السلطان وعلام لدولته كما هو في الملاحق رقم 3ص86.

عام 1249 خلف أبو زكريا إبنهعبد الله محمد المستنصر الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين عام 1255. تعرضت البلاد عام 1270 إلى غزوة صليبية قادها لويس التاسعضمن الحملة الصليبية الثامنة. شهدت الدولة بعد وفاة المستنصر عام 1277 عدة صراعات خلافة تخللتها عدة ثورات لقبائل

[1] حسن حسني عبد الوهاب:خلاصة تاريخ تونس ط3 ص 120.
[2] نفسه، ص 128.

جنوب البلاد، ولم تسترجع الدولة وحدتها إلا في عهد أبو يحي أبو بكر. استرجعت الدولة سالف مجدها في عهد أبو العباس أحمد وأبو فارس عبد العزيزالذان شهدت البلاد في عهدتها ازدهار التجارة والملاحة. دخلت الدولة في أواخر القرن الخامس عشر حالة من الركود تخللتها حروب خلافة وأصبحت منذ 1510 عرضة لغارات الإسبان.

- **الحقبة الإسبانية:**

دخلت الدولة الحفصية سنة 1535 في صراع خلافة بين السلطان أبو عبد الله محمد الحسن وأخيه الأصغر رشيد. طلب الأخير العون من العثمانيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على العاصمة بقيادة خير الدين باربا روسا (دون إرجاع رشيد على العرش). استنجد أبو عبد الله محمد الحسن بشارل الخامس، ملك إسبانيا الذي جهز جيشا قوامه 33،000 رجل و400 سفينة بالتحافل مع الدول البابوية[1]، جمهورية جنوة ونظام فرسان مالطا. تمكن الإسبان من القيام بإنزال شمالي العاصمة في 16 يونيو، ثم بالاستيلاء على ميناء حلق الوادي، ثم تمكنوا من دخول العاصمة في 21 يوليو. أعيد تنصيب السلطان حسن على العرش لكنه أجبر على المصادقة على معاهدة تضع البلاد عمليا تحت الحماية الإسبانية. استمر في السنوات التالية الصراع بين الإسبان وحلفاءهم والعثمانيين. تمكن العثمانيون في النهاية سنة 1574، من طرد الإسبان نهائيا بعد الانتصار عليهم في معركة تونس.[2]

أرسل العثمانيون سنان باشا على رأس قوة بحرية إلى تونس فاحتلها عام /1574م/ وأصبح والياً عليها برتبة باشا، وقام بتنظيم الإدارة العسكرية والمدنية، حيث ولّى قيادة الانكشارية للدايات ويرأسهم الآغا، كما عين بايا للجباية. ولكن أمر الدايات ضعف على يد البايات وأولهم مراد باي عام (1022هـ/1613م) الذي يعد مؤسس أسرة البايات المرادية التي حكمت تونس إلى أن تمكن حسين بن علي تركي من حكم البلاد وتأسيس الأسرة الحسينية التي حكمت تونس حتى عام 1376هـ/1957م وانتهت بقيام الجمهورية التونسية.

تحولت تونس إلى إيالة عثمانية سمي على رأسها باشا يمثل السلطان يساعده مجلس ديوان متكون من كبار ضباط الجيش الانكشاري فيما آلت الأمور القضائية والدينية إلى قاضي حنفي. ولاآن تمكن العثمانيون من السيطرة على المدن الكبرى بقيت عدة مناطق داخلية خارجة عن سلطتهم. وفي 1581 قام أحد الأمراء الحفصيين أحمد بن محمد بمحاولة لاستعادة الحكم انطلاقا من إيطاليا فقام بإنزال بحري ناجح في خليج قابس وتمكن في بادئ الأمر من الانتصار على القوات العثمانية إلا أن محاولاته لاقتحام

[1] حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط3 ص129.
[2] نفسه، ص130.

العاصمة باءت بالفشل. وقد أدى التمرد داخل البلاد والخطر الإسباني خارجها إلى طغيان الجانب العسكري على الحكم. وفي 18 أكتوبر 1591 قام صغار الضباط الانكشاري بحركة تمرد تمكنوا على إثرها من فرض تغيير على تركيبة الحكم في الإيالة إذ أصبح الحكم الفعلي في يد مجلس الديوان الذي انتخب على رأسه داي، في حين أصبح حكم الباشا رمزيا. لم يدم الحكم الجماعي للديوان طويلا إذ سرعان ما انفرد الداي بالسلطة وقد توالى عدة دايات على المنصب من أبرزهم عثمان ويوسف داي. شهدت البلاد في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ازدهارا واسعا بفضل مداخيل الجهاد البحري وحلول الأندلسيين المطرودين من إسبانيا الذين أدخلوا حيوية لقطاع الفلاحة ولصناعات النسيج. عام 1609 أحدث منصب الباي لتولي جمع الضرائب وإخضاع القبائل المتمردة على رأس مؤسسة عسكرية سميت بالمحلة. عام 1613 سمي مملوك ذو أصل كورسيكي يدعى جاك سانتي في منصب الباي وقد استطاع من كسب ثقة الباب العالي بعد إخماده لعدة حركات تمرد قبلية فرفع إلى رتبة باشا عام 1631 وقبل وفاته قام بتوريث المنصب لابنه حمودة الذي استطاع تدريجيا تهميش دور الدايات وتوريث الحكم بدوره لصالح ذريته لتصبح البلاد عمليا مستقلة من الحكم العثماني.[1]

من أشهر أفراد الأسرة الحسينية أحمد باشا باي (1253-1271هـ) الذي قام بإصلاحات داخلية هامة، فأبطل الرقّ وشجّع التعليم وأحلّ اللغة العربية بدلاً من التركية واهتم كثيراً بالجيش فأنشأ مدرسة حربية عصرية كما اهتم بتسليح الجيش بالأسلحة الحديثة وساعد الدولة العثمانية في حربها في القرم (1854م) مما كلف البلاد أموالاً طائلة وأدى إلى إفلاس الدولة وزيادة النفوذ الأجنبي عامة والفرنسي خاصة. ومحمد باي الثاني (1271-1276هـ) الذي أجرى عدة إصلاحات هامة، وأصبحت تونس في عهده ملكية دستورية، وصدرت جريدة الرائد التونسي.[2]

ومنهم أيضاً محمد الصادق الذي أنشأ مجلس الشورى عام 1277هـ وحاول النهوض بالدولة، ولكن بتأثير بطانته الفاسدة ازدادت المصاعب المالية، فلجأ إلى الاقتراض من المصارف الأوربية وزيادة الضرائب، مما أدى إلى انتفاضة القبائل التي قُمعت بعنف ونجم عنها أسوأ النتائج، وأعلنت الدولة عجزها المالي وتشكلت اللجنة المالية المختلطة فكان هذا بداية السيطرة الأجنبية. وقد حاول الوزير خير الدين مواجهة الضغوط الأجنبية بإصلاحاته المالية التي لم ترضِ فرنسة وأصحاب المصالح من الأهلين وتمكنوا من عزله عام 1877م.

[1] حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط3.ص 130.
[2] نفسه ،ص135.

ازدادت الأمور سوءاً بعد ذلك وأصبحت تونس مهيأة للاحتلال الأجنبي في ظل التنافس الاستعماري، وخاصة بعد احتلال الجزائر من قبل فرنسة عام 1830م وتنازل بريطانية لفرنسة عن تونس في أعقاب مؤتمر برلين 1878.[1]

استمر تولي حمودة باشا منصب الباي 35 عاما استطاع فيها تدعيم سلطته على حساب الدايات. فعلى عكس الدايات التي كانت سلطتهم محدودة في العاصمة استطاع الباي فرض نفوذه في باقي البلاد بفضل عائدات الجباية وانفتاحه على أعيان التجمعات الداخلية وتحالفه مع القبائل. شهدت البلاد في فترة تولي حمودة باشا منصب الباي، نهضة عمرانية بإنشاء عدة أسواق وبنايات كجامع حمودة باشا ودار حمودة باشا ودار الباي. بعد وفاته عام 1666 خلفه ابنه مراد باي الثاني الذي استطاع التغلب على الداي حاج علي لوز الذي حاول إزاحته من منصب الباي.

بعد وفاته دخل أولاده الثلاثة في سلسلة صراعات على الحكم أضعفت البلاد. وآل الحكم على التوالي ابتداء من 1675 إلى 1698، إلى علي الأول(1675 – 1688)، محمد الثاني (1688 – 1695)، ثم رمضان باي المرادي (1695 – 1698). عام 1698 تمكن مراد الثالث من الإطاحة بعمه رمضان إلا أن حكمه لم يستمر طويلا إذ اغتاله آغا الصبائحية إبراهيم الشريف بأمر من العثمانيين ولينتهي بذلك حكم البايات المراديين. كافأ الباب العالي الشريف بتعيينه باياودايا في نفس الوقت وبقي محافظا على الحكم إلى أسره من طرف داي الجزائر ليحصل فراغ في السلطة استغله مساعده حسين بن علي ليتولي منصب الباي ليكون بذلك أول البايات الحسينيين.[2]

[1] حسن حسني عبد الوهاب نفسه، ص 136.
[2] نفس المرجع ، ص137 ..

خلاصة الفصل :

لعبت تونس أدوارا هامة في التاريخ القديم منذ عهد الفينيقيين والأمازيغ والقرطاجيين و و الوندالليين والرومان وقد عرفت باسم مقاطعة أفريكا إبان الحكم الروماني لها والتي سميت باسمها كامل القارة. فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي وأسسوا فيها مدينة القيروان سنة 50 هـ لتكون ثاني مدينة إسلامية في شمال أفريقيا بعد الفسطاط. في ظل الدولة العثمانية، كانت تسمى "الإيالة التونسية". وقعت تحت الاحتلال الفرنسي في عام 1881، ثم حصلت على استقلالها في عام 1956 لتصبح رسميا المملكة التونسية في نهاية عهد محمد الأمين باي.

مع إعلان الجمهورية التونسية في 25 يوليو 1957، أصبح الحبيب بورقيبة أول رئيس لها وهي دولة عربية تقع في شمال أفريقيا يحدها من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الشرقي ليبيا (459 كم) ومن الغرب الجزائر (965 كم). عاصمتها مدينة تونس. تبلغ مساحة الجمهورية التونسية 163,610 كم^2. يبلغ سكان الجمهورية التونسية حسب آخر الإحصائيات سنة 2014 ما يقارب 10 ملايين و982,8 ألف نسمة.

الفصل الثاني

أحداث ومنطلق ثورة على غذاهم 1864

تمهيد :

دخلت تونس تحت لواء الدولة العثمانية بداية من 1574 م، وكان حكمها قائم على سلطة الداي والباشا والإنكشارية، إلا أن حكم الداي لم يدم ليخلفه حكم الباي من خلال الأسرة المرادية بداية من 1602م.لتأتي بعدها الأسرة الحسينية من 1705 م بمؤسسها حسين بن علي التركي ،الذي تسلم مقاليد الحكم برغبة من الأهالي وبإقرار من الدولة العثمانية.

لقد عانت البلاد التونسية في هذه الفترة من عدة إعتداءات منها إعتداء البندقية على بعض التجار التونسيين، وكذلك استيلاء محمد القرمنلي على جزيرة جربة التونسية سنة 1795 م، ولأجل ذلك أرسل الباي جيشا قوامه أربعين ألف مقاتل لاسترجاع الجزيرة.

وقد أخذت الضرائب في الزيادة خلال عهد أحمد باي و محمد باي و ذلك بسبب الإصلاحات التي انتهجوها، إضافة أنه في عهدهما غلبت على البلاد التونسية المنتوجات الأوروبية على المنتوجات المحلية، مما سبب ركوداً لإنتاج الإيالة التونسية ، كما كان يوجد بتونس طبقة برجوازية محلية متصلة كثي ا ر بالأعمال البحرية من تجارة خارجية و خاصة بيع الشاشة التي كانت مصدر رزق أساسي لكثير من العائلات التونسية، حيث كانت لها أسواق خارجية بكل من المنطقة العربية و أجزاء من إفريقيا وآسيا و كانت تصدر ما بين مليون و نصف مليون قطعة، إلا أن الطبقة البرجوازية لم تستطع تركيز سيطرتها على داخل البلاد بين مقاومة المجتمعات القبلية لهم، كما أنها لاقت منافسة خارجية حادة في السوق الأوروبية، لذا وضعت نفسها تحت وصاية الدولة.

المبحث الاول : أوضاع تونس قبيل الاندلاع الثورة

لقد تميّز القرن التاسع عشر في البلاد التّونسيّة بالتكالب على الحكم وكثرة الانقلابات والاغتيالات، كعثمان باي الذي اغتيل في 21 ديسمبر 1814م، ولهذا السبب توالى الحكّام الحسينيّون على البلاد ولم يعمّر أحد منهم طويلا، وقد كانوا يتمتّعون بسلطة مطلقة لا حدّ لها، ويمارسون الحكم طوع إرادتهم دون تقيّد بالقوانين تدرجت أوضاع الايالة التونسية منذ وفاة حمودة باشا سنة 1814منحو التدهور الذي تحوّل إلى أزمة شاملة .

1- الأزمة المالية :

لقد كانت ميزانيّة البلاد التّونسيّة في عجز تام حيث قدّرت قيمة العجز سنة 1860م بـ 1739125 ريالا، كما تميّزت هذه الفترة بكثرة الاختلاسات (السرقات) ومن أهمّها نذكر سرقة محمود بن عيّاد لـ 80 مليون ريال والهروب بها إلى فرنسا. كما عرفت سياسة مصطفى خزنه دار الّذي تولّى منصب وزير ماليّة ووزير أكبر بين 1837م و1873م بسوء التصرّف واختلاس الأموال ممّا ساهم في تفاقم الأزمة الماليّة للبلاد التّونسيّة.

وأمام هذا العجز المالي اتّبعت البلاد التّونسيّة سياسة الاقتراض من الدّول الأوروبيّة، فأصبحت تأخذ القرض لتسدّد به قرضا آخر إلى أن أصبحت عاجزة تماما على تسديد الدّيون[1]، ممّا دفع بالدّول الأوروبيّة إلى تشكيل لجنة الكومسيون المالي للضغط على المصاريف وضمان استرداد أموالها، وهي لجنة دوليّة فرضت على محمد الصّادق باي .

مظاهر الأزمة واسبابها

مظاهرها: تتمثل في عجز ميزانيّة الدولة حيث أن المصاريف فاقت المداخيل بـ: 1.7 مليون ريال سنة 1861م [2]

أسبابها:

- تأثر موارد الدولة وخاصة الخارجية من توقف نشاط القرصنة.
- إسراف الأسرة الحاكمة وإقدام البايات على انجازات مشاريع مكلفة وغير مجدية مثل جلب مياه زغوان الى العاصمة.
- ارتفاع كلفة المشاركة في حروب الدولة العثمانية مثل حرب القرم (1854م – 1856م).

[1] بيرم التونسي: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الاقطار لمحمد ، المطبعة العلامية ، مصر ،ص 8
[2] نفسه ص 10

- اختلاس بعض أعوان الدولة للأموال وأبرزهم مصطفى خزندار ومحمود بن عياد[1].إجراءات الحد من الأزمة:

أ - الرفع من الضرائب:

- تعدّد الضرائب مثل العشر والقانون واللزمة والمحصولات وإقرار ضرائب جديدة المجبى سنة 1856م التي بلغت 36 ريالاً على الشخص.
- الرفع من قيمة الضرائب مثل ضريبة المجبى التي تضاعفت قيمتها لتبلغ 72 ريالا سنة 1863م.[2]

ب - سياسة الاقتراض:

أمام استفحال الأزمة وقع اللجوء إلى سياسة التداين سواء المقنع (غير المباشر)المتمثل في السلّم وهو عبارة عن بيع الدولة لزيت الزيتون للتجار قبل الإنتاج أو الاقتراض المباشر (ثلاث قروض متتالية 1862م ،1863م،1864م) عمّقت هذه الإجراءات أزمة الميزانيّة التونسيّة حيث حاول الباي الحصول على قروض أخرى لكنه فشل فتحولت سياسة الاقتراض من وسيلة إصلاح إلى وسيلة إفلاس. أمّا داخليّا فقد ساهمت هذه الإجراءات في تعميق الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي تعيشها البلاد[3].

2- الأزمة الاقتصادية والاجتماعيّة:

1. **الأزمة الاقتصادية:** من أهمّ مظاهر الأزمة الاقتصادية نذكر انخفاض الإنتاج الفلاحي حيث أهمل الفلّاحون الأراضي الزّراعيّة نظرا لكثرة الضرائب على إنتاج الحبوب والزيتون وقلّة الإنتاج.

أ- أزمة الفلاحة:

تتمثل في انخفاض الإنتاج الفلاحي خاصّة في المواد الأساسيّة (حبوب وزيتون) وتراجع المساحات المزروعة نتيجة تتالي سنوات الجفاف والضرائب المرتفعة .

ب- تدهور الأنشطة الحرفية:

تتمثل في كساد سوق الحرف مثل صناعة الشاشيّة والجلود نتيجة منافسة المنتجات الصناعيّة الأوروبيّة.

[1] جان عانياج: الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي ، ص 12.
[2] نفسة، ص70.
[3] ابن ابي صياف : اتحاف الزمان باخبار ملوك تونس في اخبار افريقيا وتونس ،دار النشر تونس ص 540.

فقد تدهورت الصّناعة بالبلاد نظرا للمنافسة الأوروبيّة، فمثلا صناعة الشّاشيّة التّي كانت من أهمّ موارد الرّزق لسكّان المدن لقيت منافسة شرسة من المعامل الأوروبيّة فرخص المنتوج ممّ أضرّ بالحرفيين التّونسيين الّذين أصرّوا على اعتماد الآلات التقليديّة ذات التكلفة العالية[1]

ج) أزمة القطاع التجاري: تتمثل في:

- ركود التجارة الداخليّة نتيجة ضيق السوق الداخليّة وفقر السكان وانعدام الأمن في فترات الاضطراب.
- تراجع التجارة الخارجيّة نتيجة سيطرة التجار الأوروبيون على مبادلاتها وانجر عن ذلك عجز الميزان التجاري وتدهور قيمة الريال التونسي.

2. **الأزمة الاجتماعيّة: تمثلت مظاهرها في:**

- انتشار الفقر والبؤس بسبب إثقال كاهل السكان بالضرائب مما أدى إلى تفقير المنتجين والتجار.
- الانهيار الديمغرافي بسبب تواتر المجاعات مثلما حصل سنتي 1849م و 1856م والأوبئة مثل وباء الكوليرا ومخلفات القمع الشديد للانتفاضات مثل انتفاضة القبائل سنة 1864م.
- كثرة التناقضات التي شهدها المجتمع نتيجة رواسب الخلافات القديمة بين الحسينية والباشية والنزاعات بين القبائل. [2]

الأزمة السياسية: القطيعة بين الدولة والمجتمع:

نظام الحكم:

- محافظة الباي على سلطته المطلقة واستعانته بالمماليك الذين سيطروا على أهم المناصب العسكريّة والسياسيّة وقاموا باستغلالها للإثراء على حساب السكان والبلاد.
- اعتماد سياسة جبائيّة قاسية على الأهالي.

ردود فعل السكان:

كان السكان رافضين لسياسة الدولة وتمثل رفضهم في:

- إنتفاضة 1864م التي بدأت كعصيان مدني بامتناع القبائل عن دفع الضرائب ثم تحوّلت إلى حركة مسلحة تزعمها علي بن غذاهم وشملت كامل أنحاء البلاد باستثناء العاصمة.

[1] بيرم التونس :صفوة الإعتبار بمستودع الأمصاروالاقطار ص23.
[2] نعيمة شابي مذكرة لنيل شهادة الماستر ، **العلاقات الجزائرية التونسية من خلا كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 1198-1288ه/ 1782-** 1872ه، من اعداد الطالبة: نعيمة شابي، السنة الجامعية: 2014/2013. ص 78.

- الإحتماء بالأجانب من قبل بعض الأفراد الذين سعوا إلى حماية أرواحهم وممتلكاتهم من تعديات السلطة ويعكس ذلك غياب الشعور بالأمان لدى السكان وعلاقة القطيعة بين الرعية والبيليك.

دور الأجانب في تعميق الأزمة:

استغلت القوى الأوروبيّة أزمة البلاد التونسيّة لتحقيق أطماعها الاستعماريّة من خلال التسرب الاقتصادي والمالي عن طريق المعاهدات والاتفاقيات مثل اتفاقيّة 1830 بين فرنسا وتونس وقد أخضعت القوى الأوروبيّة تدخلها في شؤون البلاد التونسيّة لمرحليّة محكمة تتمثل في:

- **المرحلة 1:** إيقاع البلاد في دوامة التداين وجرّها إلى الإفلاس.[1]
- **المرحلة 2:** تدخّل الحكومات الأوروبيّة وفرض رقابة ماليّة على ميزانيّة البلاد عن طريق " الكومسيون المالي". وهي لجنة مالية أوروبية هدفها مراقبة خزينة الدولة التونسية. فقدت بمقتضاها الدولة سيادتها المالية.
- **المرحلة 3:** إعلان الهيمنة السياسيّة.[2]

[1] المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس 1986، سراس للنشر ، تونس، ص 21.

[2] ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص 78.

المبحث الثانى : أسباب الانتفاض

فوجئت الحكومة التونسية في ربيع 1864م بقيام ثورة شنتها عدة قبائل، لم تلبث في ضرف أسابيع قليلة أن عمت البلاد بأسرها. و قد كان سببها المباشر الترفيع في الضرائب. بيد أن الغضب الشعبي كانت له أسباب أعمق من ذلك و أبعد أثرا.

فالإصلاحات المتأثرة بالنموذج الأوروبي التي أدخلت دون مراعات خصوصية البلاد الإسلامية العربية. و التنظيم الجديد للإدارة و القضاء، التي لم يتقبل الشعب جميعها بإرتياح و إستشعر أنها إرهاصات لمشروع يهدف لمصادرة هوية البلاد. و اصطدم مصطفى خزندار في مقر الحكم بباردو بمعارضة من قبل جماعة من الأعيان المحافظين بعضهم من حاشية الباي و بعضهم من أقربائه. لكنه لم يعبأ بهذه المعارضة و لم يتأثر لها علما منه بأن الباي في شغل شاغل عن شؤون الحكم و غير مهتم إلا بالفسق و الفجور.

بحيث أن الجو قد خلى لمصطفى خزنه دار و استطاع أن يكون الحاكم بأمره في البلاد بعد أن نجح في إبعاد كل المنافسين له و الطامعين في الحلول محله. حتى أن حمودة باي المحال الذي هو شقيق محمد الصادق باي و الذي كان الوحيد القادر على مضايقة ذلك الوزير قد أدركته المنية فجأة في شهر أوت 1863م[1].

و قد أثارت هذه الميتة المفاجئة التي أفاد منها الوزير الأول عدة شكوك و ريب في النفوس، و راح الكثيرون يتحدثون عن تسميم أصيب به، و رأى بعضهم أن لخزندار ضلعا في هذا التسميم.

و لقد كان في الإمكان أن يكون لإعتراض الجنرالين خير الدين باشا و حسين باشا على السياسة التي ينتهجها الوزير الأكبر في الشؤون المالية شأن عظيم. بيد أن هذين الصهرين لمصطفى خزندار ضلا في شبه عزلة داخل المجلس الأكبر في ضل المكائد و التحزبات التي كانت تحاك ليلا نهارا ضد خير الدين باشا بالأخص. حتى أنهما اضطرا لتقديم إستقالتهما، و الذهاب إلى تركيا حيث لقي خير الدين باشا الحضوة في الإستانة و نصبه السلطان العثماني عبد الحميد، صدرا أعظما للدولة العثمانية، في حين لم يكن من العسير على مصطفى خزندار أن يظفر بمن يحل محلهما...و قد عمد مصطفى خزندار منذ أكتوبر 1863 إلى تأسيس مجلس خاص يضم 25 عضوا[2]. و مهمته النظر في الشؤون العامة قبل عرضها على المجلس الأكبر.

---

[1] علي المحجوبي : جزور الحركة الوطنية التونسية ،1904م- 1934م ص 40.

[2] ابن ابي الضياف احمد **كاتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص75.

و بذلك تسنى للوزير الأكبر نقل السلطة لمجلس أضيق من حيث العدد وأكثر إنقيادا و طواعية إليه من المجلس الأكبر. و أتيح له بذلك– في يسر و بدون عناء– من المعارضة التي كان يلقاها من حوله في باردو. و لم يكن الأمركذلك في ما يخص الغضب الذي كانت تعلى مراجله داخل البلاد.

ذلك بأن العمال و الخلفاء و الشيوخ و القضاة قد إشتد حنقهم على الإصلاحات التي لم يروا فيها إلا تطبيقا سيئا للنموذج الأوروبي و إنقلابا على المنهج الإسلامي الذي كان يتماشى مع فطرتهم و طبعهم.

و كانوا يغبطون ما إكتسبه المخطوطون الجدد فيما إكتسبوا من ثروات طائلة. و يفضحون سياستهم الرامية إلى إحتكار أهم الخطط و تبديد المالية العمومية و إثقال كاهل الشعب بفادح الضرائب.

و كان الشعار الذي أعلنه الأعيان و التف من حوله مضرم و ثورة 1864 هو:

"كفانا مجبى و مماليك و كفانا دستورا[1]".

أما الأهالي فكان لغضبهم أسباب أخرى. فمن ذلك أن الإصلاحات الجديدة و المبتدعات الفنية كانت أشد تحريكا لمشاعرهم. و أبلغ في إثارة حفائضهم من الاحتلال المالي و من الاضطهادات الجبائية التي كادت أن تكون عندهم من الأمور الطبيعية التي ألفوها بحكم العادة منذ أمد بعيد. و أن شدة تعلق أهل البادية بعاداتهم جعلتهم يخافون من كل مستحدث غريب و إن قيل لهم أنه يخدم مصلحتهم. فهم يخشون أن تزداد به حالتهم سوءا و يكونو كالمستجير من الرمضاء بالنار حسب ما سبق لهم أن جربوا ذلك في ما مضى، و لم يخرجوا من تجربتهم إلا بكل خسارة.

و إذا كان الدستور لم ينل من وضعهم إلا قليلا فإن الإصلاحات العدلية قد تبدت لهم على عجل في صورة بدعة منكرة، لأنها تضطرهم كلما عن لهم التقاضي. إلى المكث في المدينة أياما عديدة و لأن ما إتسمت به من بطىء في الإجراءات و تعقد في الواجبات و الشكليات على عسر على عقولهم البسيطة قبوله و الإذعان إليه. و هم في معظمهم قوم بسطاء.

فقد أصبح الساكن بقابس التي هي على بعد ثمانين فرسخا من تونس (400 كيلومتر) إذا شاء أن يعقب حكما أصدرته ضده محكمة الجهة التي ينتسب إليها، كان ازاما عليه أن يذهب لتونس. و بعد أن يتكبد في ترحاله النفقات الطائلة يجد نفسه محروما من حق كان يتمتع به.

[1] الشمومي الهادي: **تونس والتحديث، 1831-1871 هـ**، دار محمد للنشر تونس، 2010.

و قد يقولون في قرارة أنفسهم إنهم إن كانوا مضطرين لا محالة إلى دفع الضرائب فالأولى أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من التقاضي لدى قضاتهم. الذين ما كانوا يكلفونهم من العناء ما يكلفونهم هؤلاء المماليك البغيضين. حيث كان فصل النوازل أسرع و أقل عناءا[1].

و لقد تلقى أهل المدن و الأرياف ترميم حنايا زغوان بادىء ذي بدىء بالترحيب و الرضى و أعجبوا بالماء النمير الذي يتدفق فيها و منها غزيرا. إلا أن سكان العاصمة قد سخطوا حين علموا أنه سيفرض عليهم ثمن لإستهلاك ذلك الماء. و سكان الأرياف قد سائهم أن يروا فرق الحراسة تصدهم عن صرف مجاري المياه لفائدتهم. و سرعان ما إنقلبت فرحة الجميع كدرا من إنجاز إعتبروه مؤديا بالبلاد للإنهيار.

و لم يكد يلفت الجهاز البرقي الأنظار حتى إعتبرته القبائل الرحل في عداد الإختراعات الأجنبية العائدة بالشؤم على البلاد. كيف لا و هو يمكن خيالة الباي من الوصول بسرعة مدهشة لأي مكان يكون قد جد فيه ما يلزم قمعه من الإضراب ؟ و لقد يبدو أنه من اليسير عليهم قطع الأسلاك البرقية. إلا أن الذي كان يقيد أيديهم علمهم أن عاقبة سعيهم ستكون عقابا صارما جماعيا و إستعجاليا ينهال عليهم في صورة غرامات مالية و جلد لا يسلط على الفاعلين وحدهم بل كثيرا ما ينال حتى الأبرياء.

لقد كان الغضب كامنا في البلاد كمون النار في الزند. و لكنه كان ملموسا و إن الذين كانوا ينفخون في ضرامه هم المشايخ و الأعيان و قد شهد بذلك ملاحظ بصير و هو القائم قامكامينون ... الذي عاد لتونس في 27 فيفري 1862 بعد غياب عنها دام ثمانية أعوام و إستأنف إدارة المدرسة الحربية بباردو التي كان قد باشرها سنة 1850 إلى سنة 1854 في عهد أحمد باي[2]. و قد عبر عن إندهاشه للتغييرات التي طرأت على البلاد، و وصف في رسالة وجهها لوزير الحرب في فرانسا حالة القلق و الحنق الدفين التي كانت تسود البلاد التونسية و مما جاء في رسالته قوله : " أن العربي يطالب من سادته ألا يثقلوا كاهله بفادع الضرائب و أن تكون العدالة التي تطبق عليه على مقربة منه و ذات إجراءات سريعة و خالية من التشعب." و كأول ردة فعل جماهيرية، إجتمع وفد من سكان العاصمة يضم زهاء ألف و مائتي شخص رافعين الأعلام، قاصدين قصر باردو، و طلبوا من الباي أن يذهب عنهم المستحدثات من

[1] المحجوبي :جزور الحركة الوطنية التونسية ،1904م- 1934م ص 41،
[2] ابن ابي ضياف ،ص 263.: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص75.

البدع و يأذن بتحجير تصدير الحبوب. فما كان من الباي إلا أن أعرض عن طلبهم و أصدر أمره بزج قادة الحركة في السجون.

إذن فكل شيء قد تغير بغتة في عادات ذلك الشعب العربي الذي ألف الإستقرار و الهدوء، بل هناك خطبا آخر، في غاية الخطورة، بدى يلوح وقوعه في الأفق، سيزيد الوضع إحتقانا و يظرم نار ثورة عمت كل أقطار البلاد سنة 1864[1].

خير الدين التونسي :

خير الدين التونسي (أو خير الدين باشا) (1820 – 1889)، كان وزيرا للبحرية ثم الحرب في تونس ثم إنتقل إلى تركيا ليشغل منصب الصدر الأعظم بالدولة العثمانية و توفي هناك. يعتبر خير الدين أحد أكبر رموز الإصلاح بالعالم العربي و الإسلامي كان أول من ألف في الإصلاح، جمع رآه و أفكاره في كتابه الشهير "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك".

حنايا زغوان :

هي قناطر تحمل الماء من زغوان إلى قرطاج، بناها الرومان بعد سقوط قرطاجلم تكن قنصليات الدول الأوروبية ، خاصة الفرنسية و الإنجليزية، في تونس خلال سبعينات القرن التاسع عشر بمعزل عن الصراع الدائر بين أعضاء الحكومة أو بين الحكومة نفسها و الشعب. إذ كان كل من القنصل الفرنسي والإنجليزي يتسابقان لمد نفوذهما أكثر فأكثر داخل قصر الحضرة العلية، و ذلك لتهيئة الأوضاع سياسيا و إقتصاديا و عسكريا للإجتياح الكامل للبلاد و ضمها إما لبريطانيا أو لنفوذ الإيليزي في باريس.

لكن كان الفرنسيون أكثر نفوذا في دوائر صنع القرار التونسية و ذلك لإعتمادهم سياسة الإغراق في الديون و التحفيز الدائم لإنشاء المشاريع بداعي الإصلاح و الحرص على تطوير بنية هذا البلد الصديق و هم في الحقيقة يعلمون أن تلك السياسة ستأدي حتما إلى الإنهيار الكلي لإقتصادالبلاد و ذلك للفارق الواضح بين كلفة المشاريع و القدرة الحقيقية للمملكة التونسية على الإنفاق، لكن الهدف الأبعد لدى الفرنسيس هو تطوير البلد ليسهل و يطيب فيه العيش عند إجتياحه من الجزائر[2].

لم تكن هذه المخططات الفرنسية لتغيب أو تروق للإنجليز الذين كانوا يتصيدون بدورهم لملىء أي فراغ تحدثه فرنسا للإستحواذ على البلاد بما تنتجه من خيرات كالقمح و الزيتون و الغلال التي لطالما أسالت لعابهم.

[1] ابن ابي ضياف 1291ه – 1891ه: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص 240

[2] خير الدين التونسي :أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، دار النشر التونسية ،ط 1، ص 193.

و إستغل المماليك هذه الأوضاع إذ لم يفتهم جريا على سياسة المراوغة التي هي ديدنهم أن يوقروا في أذهان الأهالي أن الإصلاحات التي لم تحرز رضاهم و أثارت إحتجاجهم ليست من صنع أولئك المماليك بل هي من تدبيرات النصارى و أن قناصلهم هم الذين فرضوها علينا غصبا عنا قائلين لهم : " إن ليس لكم بد من قبولها و الرضوخ إليها...إلى أن يبدل الله الأوقات بخير[1]".

أدت هذه البلبلة و الأحداث إلى ترسيخ قناعة عند الأهالي بدوا و حضرا أن الوزير الأول مصطفى خزندار بصدد بيع البلاد إلى الفرنسيين و الدليل لديهم هو تلك الأشغال الكبرى التي كان يجري إنجازها في البلاد بقروض و تحريض فرنسي و أكثرها إثارة لحفيظتهم ذلك القرض الضخم الذي ألتمس من " أرلنجي " و كان الولاة و المماليك بدورهم يبررون جشعهم و خداعهم للعامة مستشهدين بالملايين التي كانت تنحدر إلى جيوب الأجانب و كان الإنجليز يؤججون ضرام الغضب الشعبي ضد الفرنسيين إنتقاما منهم ليئسهم من الظفر بشيء.

مع أواخر 1861م أصبحت هناك قناعة عند الشعب ، مفادها أن النصارى من الفرنسيين والإنجليز و الطليان هم سبب كل البلايا و المصائب التي حلت بالبلاد و بدأ عندها التفكير جديا في الثورة.

رأت قبيلة بني غانم السلمية المتاخمة للحدود الجزائرية أن أحسن وسيلة لردع فرنسا من إستعمار تونس هو مهاجمتها في الجزائر لإستنزافها و ثنيها عن التفكير في إجتياح البلاد و ساندتها في ذلك قبائل أخرى من سليم و هلال و ماجر و فراشيش و بدأت هذه الهجمات تتضاعف و تشتد يوما بعد يوم.

ففي شهر جوان 1862م كان الماريشال " Pelissier " يواجه غارات تونسية متتالية صوب الجزائر و قد إضطر لرد الفعل بتوجيه حملة عسكرية لترابهم. و أشار قنصل فرانسا في الخريف الموالي وقوع معارك و غارات أخرى في نفس المنطقة. [2]

تجددت هذه الحوادث في السنة الموالية و كانت أشد عنفا من التي سبقتها بما أفضى إلى تدخل جديد من طرف الجيوش الفرنسية في التراب التونسي على مقربة من تالة في شهر جويلية سنة 1983م بيد أن هذا التدخل لم يكن له أثر يذكر و كان حظه شبيها بالذي حصل في الحملة العسكرية في السنة السابقة.

[1] خير الدين التونسي ، نفسه ،ص 193.
[2] علي الزواوي: **الوفدون على مدينة سفاقس خلال 1918**، دار النشر تونس، ص 98.

و في شهر سبتمبر 1963م قررت الحكومة التونسية تعميم الآداء الموظف على الرؤوس والمعروف بالمجبى، و سحبه على كافة الرعايا التونسيين على إختلاف معتقداتهم الدينية و طبقاتهم الاجتماعية، وقد كان معفى منه سكان العاصمة و المدن الكبرى، و هي القيروان و صفاقس و بنزرت و سوسة والمنستير. و كذلك الموظفون و العساكر و الطلبة و العلماء و يهود الحاضرة[1].

و بعد مضي ثلاثة أشهر من قرار التعميم صدر الإذن بمضاعفة مقدار الآداء المتحدث عنه، حيث رفع للأثنين و سبعين ريالا في أغلب الحالات، في حال أن المداخيل الجبائية الموضفة من قبل لم يقع التوصل إلى خلاصها بأكملها. و إمتنع أهل الجريد من دفع الآداء. بينما إجتازت قبائل رحالة الحدود التونسية و حطت رحالها في التراب الليبي.

و مما لا ريب فيه أن هذه الزيادة في الضرائب لم يكن يبررها أي نمو إقتصادي في الوضع التونسي السائد في ذلك العهد. و الدليل على ذلك أن المساحات التي بذرت في عهد الباي السابق كانت عبارة عن ستين ألف ماشية ترابية بينما المساحة المزروعة اليوم لا تتجاوز الأربعين ألف.

سببت هذه الزيادات المجحفة سخطا عارما من كافة أفراد الشعب و الدليل على ذلك هو أنه بمجرد ما سعى أعوان الباي في إستخلاص الجباية إنطلقت الثورة من عقالها[2].

[1] المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،ص 45.
[2] نفسه، ص 52.

المبحث الثالث : أهم أحداث ثورة على بن غزاهم 1864م

قادَ علي بن محمد بن غذاهم الماجري ثورة أشعلت البلاد التونسية عام 1864. وعلي بن غذاهم هو ثوري تونسي مثقف ولـه نصيب من التعليم الزيتوني لقب بباي 'الشعب' وهو أبوه محمد يحل النزاعات وطبيب مات مسموما من قبل عامل الجهة المسمى العربي البكوش وينحدر من عرش أولاد مساهل من قبيلة ماجر وهي قبيلة أمازيغية الأصل.و كان السبب المباشر في ظاهره هو مضاعفة ضريبة الإعانة من 36 إلى 72 ريالا تونسيا لأن الباي أراد تغطية المصاريف الباهظة الناتجة عن سوء الإدارة من البايات الاستبداديين و السرقة خاصة من قبل الوزير الفاسد مصطفى خزنه دار وفي باطنه هو التواجد الأجنبي المتمثل في المماليك الذين استحوذوا على السلطة الفعلية في البلاد. فكان شعار الثورة الذي رفعته القبائل الثائرة في البلاد: "كفانا مجبى ومماليك ودستور"يوم 10 مارس 1864 وردت برقية من جان ماتيي العون القنصلي لفرنسا بصفاقس تفيد اتفاق القبائل عن الامتناع في دفع ضريبة الإعانة[1]. صورة المحارب وقائد الثورة علي كما هو موصح في الملاحق رقم 6 ص 87.

وأرسل القنصل أن القبائل في حالة هيجان وسخط على الحكومة حتى أن أولاد بوغانم و الفراشيش أغاروا على أولاد يحي القاطنين بالقطر الجزائري. انطلقت الثورة من جبال الظهري وامتدت للجريد ومنطقة القيروان وانتشرت غرب الكاف وأدركت في شهر أفريل وادي مجردة.

ففي أقل من شهر كادت أن تعم الثورة كامل البلاد بعد أن شملت أكثر من ثمانين بالمائة منها.وكثرت أيضا القوافل المحملة بالبارود والرصاص والبنادق وفي خلاص قاد الثورة شخص من "دار كبيرة" يقال له السبوعي بن محمد السبوعي وفي رياح قادها بن دحر. وفي الغرب قادها شخص يعرف الكتابة و القراءة وهو علي بن غذاهم الماجري و تحصل على مباركة الزاوية التيجانيةاللتي كان لها نفوذ كبير في تلك الأيام. وكان يبلغ هذا الشخص 50 عاما في ذلك العهد وتلقى نصيبا من العلم في جامع الزيتونة.

قبيلته ماجر هي أول من أطلق عليه تسمية باي الشعب قبل أن يمتد نفوذه على القبائل المجاورة كعيّار والفراشيشوونيفة حتى صار الزعيم الأعلى للثوار وهو المفجر الأول للثورة. ولكم مقتطفات من بعض البرقيات من القنصل الفرنسي:[2]

---

[1] ابن ابي الضياف احمد ، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص 115.

[2] جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي ،ص30.

أما بجهة صفاقس فإن المحلة التي يقودها سي سليم قد طوقها الثوار... وعلى الحدود التونسية الطرابلسية دارت معركة بين قبيلتي النوايل و ورغمة أسفرت عن سقوط 1300 بين قتيل وجريح... ومازالت قطعان الماشية الخاصة بالباي تتعرض للنهب... ومازال الإيالة في حالة غليان... ولم تسلم الضواحي القريبة من الحاضرة التونسية إذ أغار الثوار على ضيعة لخزنه دار فبددّوا ما بها وهذا ما حصل لقصر أحد الجنرالات على معنى الإنتقام منه لأنه أمر بقمع الثورة الشعبية[1]".

ورجع أغلب العمال إلى قصر باردو فقد حالفهم الحظ في الإفلات من الموت المحتم باستثناء الجنرال فرحات عامل الكاف وأولاد ونيفة الذي قتل في معركة بين تبرسق و الكاف دارت بينه و بين الثوار في 16 أفريل. وفي 20 أفريل استولى الثوار على القيروان. وأما في منطقة الساحل فقد امتدت الثورة للبوادي والقرى وبدأ سكانها في مناوشة المدن حتى أن سوسة التي كان بها 5 آلاف عسكري أصبح بها مائتين لاذوا بالفرار. أما المهدية فسلبت في 25 أفريل لأنها بلا سور. وأمام هذه الحالة فقد استدعى الباي وجماعته 3 آلاف من العسكر النظامي المتقاعد اللذين قال في حقهم براودلي: "انهم أقدر على زرد الصوف منهم على الوقوف في وجه أهل البادية التونسية البواسل. وللحد من روع البلاد أصدر الباي منشورا يجري العمل به مؤقتا في 21 أفريل يقتضي بإلغاء ضريبة المجبى ويوقف العمل بما جاء به عهد الأمان. فيما أرسل الفرنسيون.

وفي شهر ماي أصاب الثورة شيء من الركود ولكن كثر التعصب الديني والكراهية للأجانب والمسيحيين وحتى ضد الأتراك رغم أنهم مسلمون. وفي المدن الساحلية تحركت جموع من الغاضبين نحو الأحياء المسيحية فأمعنوا في سلبها ورفضوا سلطة الباي عليهم في خوف منهم لنزول الجيوش الأوربية. فنُهِبت صفاقس في 30 أفريل وهرب الأوربيون الى سفنهم ورفع الثوار فيها علمهم الأخضر ونادوا بسقوط الباي ونظامه وأهانوا مبعوثه وهددوه بالقتل.

كما أملى البعض من الثوار على أنفسهم جملة من التدابير لإنهاء الثورة وهي إعلان العفو العام والشامل لكل من شارك في العصيان وخفض أداء العشر لنصف مقداره وتسمية عمال من أبناء البلد عوض المماليك أي العبيد اللذين يؤتى بهم من أوربا الشرقية بعد تعليمهم وادخالهم في صلب جهاز الادارة. وإبطال العمل بالدستور وإلغاء المحاكم التي انتصبت سنة 1861م إلغاءا نهائيا. وفي هذه الفترة كان الباي يحضر لتشكيل جيش.

[1] جان غانياج ، نفسه ، ص 38.

لكن المجندين القدم رفضوا الإنظمام لقاء الأجر الزهيد أما المجندون الجدد فكانوا يلوذون بالفرار مدججين بأسلحة الباي فلم يكن تحصيل شيء خاصة من منطقة الساحل اللتي كانت تساهم بالعدد الأوفر من الحصة العسكرية. والألوية الثالثة والرابعة فرت عن بكرة أبيها حسبما قال الكميدان ريتشي لم يبقى للباي سوى ألفي جندي.

وفي أواخر جوان استطاع الباي تجميع أربعة ألاف جندي من العسكر غير النظامي يقودهم صهر الباي الجنرال اسماعيل السنّسي إلا أن هذه المحلّة ذهبت كأمس الدابر جراء الفرار. وأكد دوبوفال في رسالة موجهة إلى دوروبندولوي في 23 جويلية 1864م أن المحلة لم تستطع اجتياز 13 ميلا غرب الحاضرة تونس فانخفض عددها من 4000 إلى 2000 فلم تعد تشكل تهديدا لأحد[1]. بيد أن السنسي صار ببطء إلى ان وصل الى باجة في أواخر جويلية لكن بعد أن عانى الأمريْن من الثوار اللذين نهبوا قوافل هذه المحلة. غير أن بن غذاهم الذي أحس بأفول نجمه رفض الآمان الذي عرض عليه.

ففي 26 جويلية 1864م حضر عدد من المشائخ والأعيان لتقديم فروض الطاعة بإسم 14 عرشا من عروش الشمال الغربي مشترطين فقط خفض المجبى لعشرة ريالات وحط النصف من أداء العشر.وقد بادر إلياس مصلي بإعلان دوبوفال قنصل فرنسا يوم 28 جويلية 1864م أن أربعة عشر عرشا جنحت للسلام وأن بن غذاهم انقلب إلى أهله في ماجر. بيد أن القنصل لم يشأ أن يصدق الأنباء وأخبر دوروبندولوي أن الثورة مازالت في عنفوانها وأن صفوفهم التحمت وبن غذاه ماللتي اتهمته حكومة الباي ببيع ذمته ما زال على رأس الثوار والدليل هو اهتمامه بعقد اجتماع في القيروان مع ثلة من قادة العروش.

لكن خزنه دار لم يهنأ له بال إلا إذا أدب الثوار فتوجه نحو الساحل لجمع محلة إلا أن العسكر القدامى تجمعوا في الحاضرة معلنين غضبهم فرجع خزنه دار لتونس فجمع منها ومن ضواحيها جماعة من الرعاع وأسماهم عسكر زواوة. وكان سكان العاصمة يتوقعون من كل شر ويخافون من سلوكهم العنيف. وكانت المحلة تتكون من 2600 رجل تساندها ثمانية مدافع تحت قيادة الجنرال أحمد زروق الذي هو صنيعة خزنه دار. فأخذت بالسير ببطء منذ أوائل سبتمبر نحو سوسة حتى أنها قضت قرابة الشهر لتسلك المسافة بين حمام الأنف وهرقلة. ولمتواجه قتالا طوال هذه المدة[2].بيد أن قدوم المحلة زاد الطين بلة فانظم أهالي القرى الى الثوار ومن جملتهم المساكنية اللذين هجموا على سوسة فأطلق عليهم

[1] ابن ابي الضياف احمد ، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص122.

[2] جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي ص50.

النار وقذائف المدافع. وكان الثوار يسدون الحنايا التي تأتي لسوسة بالماء ويضربون السور كل ليلة ومن حين لآخر تطلق عليهم قذيفة مدفعية تبدد جموعهم.

ولم يمنع الحصار خروج السكان لقضاء مآربهم ودام الحال 15 يوما فملّ الجانبان من هذه الحرب الضيقة فتوحد أهالي القرى الكائنة بمنطقة الساحل وتركوا الشجارات خلفهم إثر شعورهم بقرب قدوم المحلة. واستنجدت هذه الأخيرة بالمثاليث للتنكيل بأهل القلعة الكبرى اللذين أبوا الانضمام للثورة.

وليحمي الجنرال زروق القلعة الكبرى يوم 5 أكتوبر فما لبث أسبوعا حتى تصادم مع جماعة من القلعة الصغرى فهزمهم دون عناء و لحق بهم إلى قريتهم فأمسكهم وأباح نهب القرية بعد أن افتكها عنوة. ومع أن شِقّ العُصاة المناصر لتلك القرية يعد 5000 مقاتل ولديه بعض قطع المدفعية إلى أن الجنرال زروق لم يشأ في النزال. وذلك لأن المساكنية أسرعوا إلى قريتهم لحمايتهم مبجلينها على حلفائهم. ومن الغد أقبل الجميع وحدانا وزرافات طالبين للأمان واقتدت بهم عدة قرى. وأمكن للجنرال زروق دخول سوسة دخول الفاتحين الغزاة يجر ورائه أسراه مكبلين بالسلاسل و الأغلال وجاب كامل المنطقة فنزع السلاح بالقوة وتجبر على العزل ونفذ جرائمه المشهورة في الساحل.

وبعد سقوط منطقة الساحل فلقد بدأ الباي بحملة الزجر لإرجاع الأمور إلى نصابها فظلت هذه الحملة مدة فصل الخريف وجانبا من الشتاء بين 1864-1865. فبعث الباي محلة بها 4000 آلاف جندي وذلك لأن علي بن غذاهم أراد إشعال الثورة من جديد فجمع عددا كبيرا من انصاره من عدة عروش يناهز عددهم 4000 مقاتل وهاجموا عرش جلاص اللذي استنجد بالباي. ورغم إعلان العفو عن الثوار إلاّ أن بن دحر وهو قائد رياح سلمه أحد شيوخ الزوايا فضربه حرس الباي بعصا ألف مرة، ونساء القصر تنظرن إليه من الشرفات و تظهرن الشماتة له ومن ثم ألقي في السجن شبه حي[1].

وفي أوائل جانفي دارت معركة قرب تبسة بين أنصار علي بن غذاهم وقوات محلتيْن اندمجتا ببعضهما منظمة اليهم قبيلة جلاص اللتي تريد الأخذ بثأرها. لكن الثوار دخلوا إلى التراب الجزائري آمنين؛ وأما قوات الباي فمنعتها القوات الفرنسية من الدخول.

وبإذن من الجنرال د يماك ماهون فرضت الإقامة على بن غذاهم وأخيه عبد النبي مع عائلتهما أولا بقسنطينة ثم في قبيلة أولاد عبد النور اللتي لبثوا فيها حتى 1866. فيما كان قائد المحلة المسمى الجنرال رستم ينفذ عملياته العسكرية في غرب البلاد و يحكم بالإعدام على العصاة ويصادر المكاسب ويجمع الأموال. فقد أذاق الجنرال زروق سكان الساحل ألوانا من العذاب لازال يذكرها سكان المنطقة إلى

[1] جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي ، ص50.

يومنا هذا منها الضرب المبرح بالعصي والإعدام والتقييد بالسلاسل والأغلال. وفرض هذا الجنرال غرامات فادحة لا تفرضها حكومة على رعاياها بل يفرضها الغالب على المغلوب في الحرب. جنى موظفو الدولة من جهة الساحل 5 ملايين ريال وضعوها في جيوبهم و 23 مليون ريال لخزينة الدولة. فطهّر الجنرال زروق المنطقة فأقفرت وجفت مواردها فمن أسرف في الحلب حلب الدماء. وفي شهر أفريل سنة 1865 بعث 300 من الشيوخ والأعيان وفي رقابهم السلاسل وعذبوا في القصر كالعادة أمام النساء.

ولكن في جويلية من 1865 استأنفت الاشتباكات بحدة أكبر من ذي قبل وانطلقت على الحدود التونسية الجزائرية. ولكن الحكومة التونسية لم تتخذ أي إجراء واتهم كاهية الكاف سي صالح بن محمد فرنسا بإثارة الشغب. كانت حكومة الباي وقتها تمقت فرنسا وبدأت معها في سياسة الوخز فأطلقت يد العصاة على الجالية الفرنسية ولم تعوض الفرنسيين عن الأذى الحاصل لهم في محاولة يائسة للحد من النفوذ الفرنسي وتقليص تدويل الأزمة التونسية. ولكن بعد إرسال التهديدات للباي باحتلال الإيالة تراجع هذا الأخير ودفع 400 ألف فرنك لتعويض الفرنسيين في الثورة فسلّمت بذلك الحكومة الفرنسية علي بن غذاهم بعد أن قبضت عليه وهو متحصن في الجزائر ويمهد للعودة مجددا وكان ذلك في فيفري من سنة 1866م ومات تحت التعذيب والتنكيل بسجن حلق الوادي في 10 أكتوبر سنة 1867م فكانت النتيجة تمكن قوات حكم البايات و بمساعدة من الأوروبيين من إخماد ثورة تونس سنة 1866م بعد القبض على قائدها الثوري علي بن غذاهم[1].

[1] جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي، ص60.

خلاصة الفصل :

من خلال ما سبق ذكره من أحداث عن أوضاع إيالة تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل الأزمة نستطيع أن نتوصل إلى النقاط التالية:

- فترة الحكم الممتدة من حمودة باي إلى محمد باي حاول فيها البايات الابتعاد عن لواء الدولة العثمانية.
- رفضت الدولة العثمانية ذلك، وكانت ضد التقرب الفرنسي التونسي خاصة من ناحية المعاهدات المبرمة دون موافقتها.
- كان اقتصاد الإيالة من الناحية العامة متدهور لسيطرة الأوروبيين على التجارة الداخلية والخارجية إضافة إلى مداخيل البحر.

وما كاد خبر ارتفاع المجبى ينتشر في القطر حتى ثارت خواطر السكان ولا سيما قبائل البادية، فإنهم تجمعوا وأشهروا السلاح ومنعوا السابلة وكان المقدم فيهم علي بن غذاهم، وبعد ما قاومتهم الحكومة مدة بقوة اضطرت لتخفيف المجبى وارجاعها الى أصلها الاول وبذلك ضمدت الثورة ضمودا ما .

الفصل الثالث

عوامل فشل ثورة علي بن غذاهم 1864م ونتائجها

تمهيد :

عندما لُوحظ فقدان التوازن بين الثوار في كل المناطق، وانفراد كل مدينة بنزعتها الثورية، وتشكيل مجلس في كل من القيروان وصفاقس، لإدارة مدنها وطرد عمال الباي من كل المدن ما عدا العاصمة ،فيما اتبع الوزير "مصطفى خزندار" سياسة «فرّق تسُد» والتظاهر بقبول الأمر الواقع، ونجح في القضاء على الانتفاضة الباسلة وبعد أن انتهى الخزندار من الصلح وجه أنظاره إلى القبائل فأرسل لهم أليقرو : (Allegro) قنصل الباي بمدينة عنابة، وكانت مهمته إثارة النعرات القبلية حتى تضعف المقاومة ويتحول اهتمامها إلى مشاكل أخرى، وحينها فقط يتسنى تأديبها والقضاء عليها .

المبحث الاول : ضعف القدرة التنظيمية وتشتت قوى الانتفاضة

ما من شك في أن انتفاضة القبائل كانت فعلا عفويا منذ انطلاقها، ولم تمتلك خطة تحرك واضحة ولا قيادة تحظى بإجماع الثائرين وإن كان شعارها جامعا على الأقل في طورها الأول الذي امتد بين أفريل وماي 1864 عندما بلغ التمرد أوج انتشاره المجالي وجمع العدد الأكبر من سكان الإيالة. ولعل ما ميز الانتفاضة في هذا المستوى بالذات هو تعدد " الرؤوس" والقيادات[1]. والواقع أن البنية القبلية للمجتمع التونسي آنذاك تفسر هذا الأمر فضلا عن أن عددا من الشخصيات القيادية كانت في واقع الأمر من رجال الدولة في الجهات: عدد من العمال المستائين من الاصلاحات الدستورية وأعيان القبائل الذين كانوا حتى زمن غير بعيد خدام الدولة وأداتها المادية والمعنوية في بسط نفوذها على السكان والذين ساءهم تسليم مقاليد البلاد إلى المماليك كما ساءتهم الاجراءات المتعلقة بالشأن القضائي والتي تحرمهم من مصدر نفوذ حقيقي ومن الوجاهة الاجتماعية والغنم المادي. لقد كانت هذه القيادات مستعدة للمساومة وإبرام الصفقات على حساب الثائرين متى لاحت بارقة أمل تحفظ لهم منزلتهم الاجتماعية والمادية وسلطتهم المعنوية. ومما يؤشر على ما تقدم أن الثائرين لم يطرحوا أبدا على أنفسهم القضاء على سلطة الباي أو إنهاء حكم العائلة الحسينية، فقد كانت المطالب في مجملها ذات بعد اقتصادي واجتماعي وإن لم تخل من ابعاد سياسية تتجلى خصوصا في الموقف من نفوذ المماليك. وحتى اللقب الذي أطلقه " العامة" على علي بن غذاهم بوصفه "باي الشعب"،[2] فهو إشارة إلى ما يتحلى به الرجل من تواضع وما يبديه من حرص على مصالح الناس عبر تجريمه النهب والسلب وتعدي القبائل بعضها على بعض وتبنيه الصريح لمطالب عموم السكان الذين أرهقتهم الضرائب وأذلهم العمال من المماليك وأزلامهم.

والواقع أن ما لحقب البلاد من خطر ارتبط بقدوم الأساطيل الأجنبية إلى السواحل التونسية وما حل بالثائرين من تشرذم دفعاعلي بن غذاهم إلى السعي إلى الصلح مستعينا في هذا المسعى بوساطة رجال الدين والقائمين على الزوايا وشيوخ الطرق الدينية. ففي 11 جويلية 1864، وجه مكتوبا إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن حسين الكافي ، " رئيس المفتين من العلماء المالكية " يطلب منه الوساطة مع السلطة للنظر في مطالب الثائرين بما يفضي إلى إنهاء " الفتنة" واقترح عليه اجتماعا في العاصمة " نريد أن نتكلم في مصالح المسلمين لما أحاط بهم من الضرر وشدة الطلب، وهلاك العالم من الماء إلى الماء، وأن الدولة شددوا عليهم، وكثرت حيرتهم من شدة ما حل بهم.

[1] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار ، ص 13.
[2] نفس المرجع السابق ،ص 15.

فلأجل ذلك تحيرت وتعصبت واتفقت على عدم أداء ما رتب للدولة.... نريد التخفيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم في ما حل بهم، والخطاب لمولانا لعل مولانا يهديه الله إلى سبيل الرشاد...لأن أولاد سيدنا المرحوم حسين بن علي قلوبهم رحيمة، لعل يرحم عباده..."[1]

لقد شكل غياب أفق سياسي ما لهذه الانتفاضة وطول مدتها نسبيا بمقاييس ذلك العصر وانتشار الفوضى وما شكلته من تهديد حقيقي للمصالح اليومية المباشرة للسكان عاملا مهما في انتشار الخذلان بين صفوف الثائرين وفي تفرق سبلهم. ولئن شكلت التوافقات بين القبائل عاملا مهما لاستمرار الانتفاضة في الزمان وتوسعها في المجال خاصة في شهرها الأول، فإن قدوم الأساطيل الأجنبية وما شكله من خطر على مصير البلاد ودخول الوزير الأكبر مصطفى خزندار على الخط لبث الفرقة بين الثائرين معتمدا الترغيب والترهيب ومثيرا نعرات قبلية قديمة لشق صفوف الثائرين أسهما في التلاشي التدريجي للانتفاضة وفي تحويلها إلى مجرد حركة عصيان لا أفق لها شبيهة تماما بما اعتادت عليه الايالة من تحركات اجتماعية ما انفكت وتيرتها تتصاعد منذ 1824م[2].

التدخل الخارجي في تراجع الانتفاضة

جرت انتفاضة 1864 في إطار دولي يتسم باحتداد التنافس بين القوى الغربية تحديدا على اقتسام تركة " الرجل المريض" أي الدولة العثمانية، وكانت البلاد التونسية واحدا من أهم مكونات هذه التركة. وكان هذا التنافس قائما بين طرفين رئيسيين: فرنسا وبريطانيا.

وكانت الاستراتيجية الفرنسية في تونس تتلخص في فك الارتباط بين الايالة التونسية والدولة العثمانية حتى يسهل الانفراد بها وإلحاقها بالجزائر التي تحولت إلى مستعمرة فرنسية منذ 1830، فضلا عن كون فرنسا لم تكن راغبة في الجوار العثماني وفقا لتعبير المركيزديموستيي سفير فرنسا بإسطنبول الذي كاشف نظيره التركي علي باشا بالقول" إن سياسة فرانسا إواء تونس بسيطة للغاية[3]...فنحن لا نرغب في أن يكون الباب العالي جارا لنا بالنسبة للجزائر".

أما الاستراتيجية البريطانية فتتمثل في تأكيد تبعية الايالة التونسية إلى الدولة العثمانية وذلك لوضع حد للأطماع الفرنسية في المنطقة. وأيدت إيطاليا السياسة الفرنسية تجاه المسألة التونسية وإن كانت تنظر بحذر شديد إلى الاطماع الفرنسية التي تهدد جوهريا مصالحها ذلك أن الجوار الجغرافي وتفوق جاليتها عدديا يمنحانها " أولوية" في التعاطي مع الشأن التونسي. غير ان الأطماع الايطالية

[1] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، زوية قومية جديدة، دار النشر تونس، ص 60.
[2] احمد بن عامر :تونس عبر التاريخ ص 290.
[3] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار،ص 20

ستتكشف في مرحلة لاحقة عندما توضع البلاد التونسية على طاولة المساومة الاستعمارية في مؤتمر برلين سنة 1878. لقد تحكم هذان التوجهان في سياسة كل من فرنسا وبريطانيا تجاه الإيالة التونسية خلال الانتفاضة[1].

وشهدت البلاد سنة الانتفاضة قدوم الأساطيل الفرنسية والبريطانية والايطالية ثم العثمانية إلى السواحل التونسية " وفي هذا الشهر وهو ذو القعدة من السنة 1280 للهجرة (أفريل – ماي 1864) أتت لحلق الوادي سفن حربية بخارية من أعظم السفن... من دولة الفرانسيس والأنقليز والطليان، ذكروا بأنهم أتوا لحماية تجارهم في المملكة من آثار ما هو متوقع من الحـــرب في هذه الايالة، وقدمت بعدها سفن حربية من الدولة العثمانية وبها ثقة فاضل كامل من رجال الدولة العلية وسفرائها اسمه حيدر أفندي وكان وصوله أواسط ماي 1864..."

وكانت حجة القوى الغربية هي حماية أمن رعاياها ومصالحهم في ظل اضطراب الوضع الداخلي بالبلاد وتلاشي سلطة الدولة، أما المبعوث العثماني، حيدر أفندي فقد قدم إلى تونس في مهمة تقص للحقائق ولتثبيت العلاقة التقليدية بين الايالة والباب العالي، خاصة وأن الثائرين استنجدوا في شكواهم من جور المماليك وثقل الجباية بالسلطان العثماني في ما كانوا يرفعون من أدعية في المساجد. وقد رافقت حركة الأساطيل الحربية تحركات داخلية من قبل قناصل الدول الغربية المعتمدين في تونس. وإذا كان القنصل البريطاني ريتشارد وود قد اكتفي بنصح الباي و وزيره الأكبر بضرورة الرفق بالرعية والتراجع عن مضاعفة المجبى من جهة ومراقبة سلوك القنصل الفرنسي من جهة ثانية بما يضمن الإبقاء على تبعية تونس للدولة العثمانية، فإن القنصل الفرنسي انخرط في دعم الثائرين[2]، تشهد على ذلك الرسائل التي وجهها إلى علي بن غذاهم لشد أزره من جهة وعداؤه السافر تجاه الوزير الأكبر مصطفى خزندار الذي اتهمه بتدبير الأحداث لضمان سلطته ونفوذه من جهة ثانية.

هذا علاوة عن خشية السلطة الفرنسية في الجزائر من انتقال عدوى الانتفاضة التونسية إلى التراب الجزائري[3].

اتسم سلوك القنصل الفونسي شارل دي بوفال بعجرفة لا سابق لها في تاريخ العلاقات التونسية–الفرنسية. وقد اتخذ تدخله في الشأن التونسي شكلين:

[1] على المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،ص 21
[2] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار ،ص22
[3] نفسه ص 68.

1- الامعان في إذلال الباي و وزيره الأكبر مصطفى خزندار من خلال إملاء السياسة التي يعتمدانها إتجاه الثائرين بل وكذلك تجاه الدولة العثمانية. ففي لقاء عاصف جرى بتاريخ 29 أفريل 1864 بقصر باردو طلب القنصل الفرنسي من الباي وباسم امبراطور فرنسا " أن يبطل الكونستيتيسيون (الدستور)، لأنه أنتج ضرورة لبلادك ولنفسك، والامبراطور يشتهي أن تكون حاكما في نفسك وحاكما في بلادك" (5) مع التهديد الصريح باستعمال القوة العسكرية في حالة عدم الانصياع ، إذ أردف بالقول: " ...لقد أتتك الآن أربعة أجفان، فإن لم تكف يبعث ثمانية وإن لم تكف إثني عشر أو أكثر..." ، كما طلب منه في نفس تلك الجلسة " تبديل المأمورين في مباشرة الخدمة السياسية" وكان يقصد تحديدا الوزير الأكبر مصطفى خزندار والجنرال حسين وخيرالدين باشا.[1]

2- توجيه رسائل إلى علي بن غذاهم يحرضه فيها على الانتقاض على الباي ويعبر له فيها عن مساندة فرنسا للثائرين، " و وقفنا على مكاتيب منسوبة لهذا القنصل باللغة العربية ولا تصحيح فيها ، غير أنها مختومة بطابع معفي الأثر على دائرة من الشمع الأحمر بحيث لا يقطع الانسان بمجردها أنها من القنصل..."[2] وقد تضمنت هذه المراسلات تحريضا على العصيان وشرحا للموقف الفرنسي من المسألة التونسية وتأليبا على مصطفى خزندار وغيره من المماليك المحيطين بالباي ، كما تضمن بعضها معلومات استخبارية تكشف خطط السلطة في إخماد الانتفاضة كما تكشف عن تحركات جيش الباي وتحركات مبعوثيه إلى المناطق الثائرة. وقد ورد في واحدة من هذه الرسائل: " يا أيها العروش، اعلموا أن الدولة أرسلت لكم مشايخ الطريقة، وذكروا لكم أن نحن الفرانسيسغادرونكم، ومرادنا في أخذ بلادكم، ونحن بالعكس على ذلك ، وإنما مرادنا إصلاح أحوالكم ورفع المظالم عنكم وإجراء الحق على كل أحد. ولكن سوف تروا ما يحل بكم من تلك الناس وتقف على كلامنا، لأن المشايخ الذين دخلوا بينكم باعوكم بالثمن القليل، وما دام الوزراء الموجودين في باردو فتكونوا تدفعوا أكثر من قبل، ولا يكون لكم أمان في أبدانكم ولا في أرزاقكم، وتذكروا كلامنا وعن قريب يظهر لكم منهو على الصواب والسلام."

ويعلق ابن أبي الضياف بالقول :" وكأنما هذا المكتوب إنذار بما وقع بعد ذلك من الشدائد والأهوال" مشيرا بذلك إلى ما تعرض له الثائرون من تنكيل بعد استعادة الدولة سيطرتها على البلاد.

لقد أسهم التدخل الأجنبي والأوروبي تحديدا في خلط الأولويات لدى الثائرين، حيث أصبحت الأولوية هي الحيلولة دون وقوع البلاد تحت سيطرة القوى الاجنبية، وصار ينظر إلى الانتفاضة على أنها

[1] الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، زوية قزمية جديدة، دار النشر تونس، ص 75.
[2] على المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، ص 23.

مدخل لاحتلال البلاد خصوصا وأن الحالة الجزائرية ما تزال ماثلة في الأذهان. وكان لسياسة القنصل الفرنسي دي بوفال التي شاع خبرها في مختلف أرجاء البلاد الأثر العكسي على السكان ، فقد " طارت عقولهم وتجاهروا بأن طاعتنا لا تجب إلا للسلطان العثماني وأميره (أي الباي)، وطفقوا يؤمنون على الدعاء له يوم الجمعة في الجوامع بأصوات عالية بصورة غير معتادة تدل على حزن وبث..."[1] وهكذا أوجد التدخل الأجنبي حركة مضادة للثورة وجمع السكان من جديد ، بصفة تدريجية ولكنها ثابتة، حول الباي و وزيره الأكبر مصطفى خزندار. وأسهم رجال الدين من أئمة المساجد ووكلاء الزوايا وشيوخ الطرق الدينية في التحذير من هذا الخطر بما أدخل الشك في نفوس الثائرين وأسهم في انفراط عقدهم ما دفع بعض قادتهم إلى الجنوح للصلح مع الباي ومن هؤلاء علي بن غذاهم[2].

مناورات مصطفى خزندار وانتشار الخذلان بين الثائرين:

اشتغل مصطفى خزندار ، الوزير الأكبر، الذي كانت سلطته موضع رفض الثائرين وموضع رفض القنصل الفرنسي، على واجهتين لإخماد الانتفاضة : واجهة داخلية جمع فيها بين الترهيب والترغيب للفت من عضد الثائرين و إعداد العدة لإخضاع الثائرين بالقوة عند الضرورة، و واجهة خارجية تتلخص في المحافظة على " الوضع السياسي القائم " بالإيالة وكبح جماح الأطماع الفرنسية السافرة.

وخاض على الواجهتين عملية سياسية غاية في التعقيد والخطورة، وأدارها بدهاء وحنكة كبيرين هما حصيلة ثلاثة عقود من الخبرة بالشأن الداخلي وبواقع العلاقات الدولية في تلك الفترة. وقد كللت مجهوداته ومناوراته السياسية بنجاح نسبي، فلئن نجح في إخماد الانتفاضة، فإنه دفع البلاد إلى الهاوية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا: إفلاس مدو توج بانتصاب " الكومسيون المالي " بالبلاد سنة 1869، نكبة اجتماعية قل نظيرها في تاريخ البلاد واستكانة تدريجية للنفوذ الأجنبي توجت بالاستعمار الفرنسي للبلاد سنة 1881م.

فما أن حل الصيف حتى أخذ عقدهم في الانتشار، وكثرت المنافسات الفرعية بينهم ، وتتعددت غارات القبائل بعضها على بعض وانهكت قواهم المعارك التي كانوا قد خاضوا غمارها ، وزاد في فشلهم إنتشار نبأ المذاكرات التي فتحت مع الحكومة باردو،وكانت قبيلتا جلاص والهمامةّ "في طالعة من ألقى السلاح من القبائل الثائرة وتبعهما قسم من قبيلة دريد ، وانتهز المستسلمون هذه الفرصة لاشفاءمافي صدرهم من غل نحو المنافسين لهم من جيرانهم ، فمن ذلك أن جماعة من جلاص قد بطش بها في

[1] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار.،ص25

[2] ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص 56.

أوئلجويلية عرش اولاد سعيد عندما عندما كانت بصدد الأغرة على عرش ضعيف موال لهم فإذا بعرش خلاص ينقض بقضة وقضيضة على اولادسعيد ويهزمهم شر هزيمة لم تبق فيهم ولم تدر[1].

المبحث الثاني: إخضاع الثائرين

اعتمد مصطفى خزندار في هذا المسعى على رجال الدين وأعيان القبائل و وجهاء المدن. وشجع على مساعي فتح الحوار بين السلطة والثائرين عن طريق هؤلاء. وفي هذا الإطار تندرج المراسلات التي جرت بين علي بن غذاهم من جهة و" رئيس المفتين من العلماء المالكية " الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين الكافي من جهة ثانية. كما تندرج في نفس هذا الإطار وساطة شيخ الطريقة الرحمانية مصطفى بن عزوز الذي التقى علي بن غذاهم وخاطبه وأنصاره بالقول: " ...لا جواب لكم عند الله تعالى على إراقة دماء المسلمين...أنت لست بقائم تطلب ملكا، وزعمت أنك جامع عصابة شاكية لكف عادية جهالها، وقد زال السبب فلا بد أن يزول المسبب، وقد عطلتم الناس عن السعي في ابتغاء رزقهم" .

وقد حظيت هذه المساعي بمباركة شيوخ الزوايا والأئمة الذين انتصروا للثائرين وقد ذكرهم علي بن غذاهم عنوة في رسالته الثانية الموجهة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن حسين الكافي [2]" وإن الأفاضل الأماجد سيدي أحمد بن عبد الملك وسيدي الحاج محمد الصديق ابن الشيخ سيدي محمد الصالح المذكور، وسيدي الحاج مبارك واقفين معنا في هذا الباب وساعين في الصلاح بأبلغ جهدهم..." ، كما حضر مع الشيخ مصطفى بن عزوز، شيخ الطريقة الرحمانية، عدد من أتباعه ومريديه ممن يؤيدون هذا المسعى الصلحي ومنهم " أبي العباس أحمد بن الشيخ الولي عبد الملك الحمادي، وأبي عبد الله محمد الصالح، والشيخ المسن الحاج مبارك صاحب الزاوية بتالة. وحضر لذلك الشيخ البركة السالك أبو العباس أحمد بن عبد الوارث..." [3].

أفضت هذه المساعي إلى صدور قرارات تستجيب لمطالب الثائرين " وأسقط الباي ما أجحف من الإعانة، بل صيرها عشرة ريالات فقط، وأسقط من العشر وترك الأداء على ما يباع في غير الأسواق...ثم طلب علي بن غذاهم أمانا لإخوته وقومه وأمانا لخاصة نفسه، وطلب هنشير الروحية وولاية أخيه (عبد النبي) على إخوته من ماجر وأسعفه الباي لذلك وكتب له أوامره" ويضيف ابن أبي الضياف معلقا على المطالب الشخصية لبن غذاهم " وبهذين المطلبين نقصت منزلته في أعين قومه، بل وفي أعين الناس".

[1] ابن ابي الضياف احمد ، نفسه ،ص 66.
[2] على المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، ص50
[3] الطاهر عبد الله: الحركه الوطنية التونسية رؤية شعبية قةمية جديدة ، ص 80.

والواقع أن هذه الاجراءات ، ما كان منها عاما لسائر الرعية أو خاصا بعلي بن غذاهم، لم تفقد الرجل نفوذه وهيبته فحسب، بل أفضت إلى انحلال صف الثائرين وأفقدت بن غذاهم واحدا من أكثر حلفائه قوة وهو فرج بن منصور بن دحر ، زعيم الثائرين في مناطق الشمال الغربي ،الذي اشتم رائحة المؤامرة ، فلم ينصع إلى ما انصاع إليه علي بن غذاهم من صلح مع الباي و واصل التمرد رفقة أنصاره وشملت هجماته ممثلي الدولة وسائر من قبل بالاستسلام. " فراسله علي بن غذاهم متبرئا منه بمحضر جموعه، وقال له، نحن رعية اجتمعنا من خوف الغصب على ما لا طافة لنا به، فإن قوتلنا دافعنا عن أنفسنا وأموالنا مدافعة المظلوم، والله مع المظلوم، وإذا صرنا إلى النهب وقطع الطريق صرنا ظالمين مفسدين، والله لا يحب الظالمين ولا المفسدين ، ولا يعذرنا أحد من إخواننا المسلمين." كانت هذه الواقعة مؤذنة بانفراط عقد الثائرين و وقوعهم تحت سطوة الإغراء من جهة والترهيب من جهة ثانية خاصة وقد استعادت الدولة شيئا من حضورها العسكري فأرسلت محلة إلى باجة في 26 جوان 1864 بقيادة المملوك اسماعيل صاحب الطابع الذي تولى إدارة المفاوضات مع علي بن غذاهم ، تلتها محلة الجريد بقيادة باي المحال علي باي ، شقيق الباي وولي عهده في 15 ديسمبر 1864[1].

وفي نفس الوقت الذي كانت تجري فيه المساعي الصلحية على قدم وساق بين السلطة والثائرين، كان مصطفى خزندار يعد العدة للمعركة الأخيرة. وقد ظل طوال فترة الأزمة على اطلاع تام على مجريات الأحداث بالدقة المطلوبة، سبيله إلى ذلك مراسلات لا تنتهي يتبادلها مع من تبقى من العمال بالجهات ومع أعيان القبائل والقائمين على الزوايا وقادة الجيش والحاميات العسكرية بل وبعض قادة الانتفاضة مثل فرج بن منصور بن دحر الذي جرت مخاتلته على ما يبدو من قبل مصطفى خزندار والأمير آلاي محمد الرشيد للتمكن منه لكن الحيلة لم تنطل عليه[2].

ولما تيقن الوزير الأكبر من فتور الثورة وملل الثائرين وتفرق جمعهم خاصة بعد الخلاف بين علي بن عذاهم وفرج بن دحر، بادر بإعداد القوة العسكرية لتمهيد البلاد مستفيدا من المساعدة العسكرية التي وجهها السلطان العثماني إلى الايالة وقدرها خمسون ألف ليرة فجهز بذلك محلة الشمال الغربي التي توجهت إلى باجة بقيادة المملوك اسماعيل صاحب الطابع الذي جرى تعويضه في 9 أوت 1864 بعد المرض الذي ألم به بالمملوك رستم ، ومحلة الساحل بقيادة تابعه أحمد زروق في 29 أوت 1864 وكانت تستهدف أهل مساكن تحديدا لدورهم المشهود في الانتفاضة في تلك الجهة[3].

[1] على المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،ص 41.
[2] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار ،ص 22
[3] التيميومي الهادي : تونس والتحديث1831م- 1871م، ص60

أتقن مصطفى خزنه دار فن الانحناء أمام العاصفة بشقيها الداخلي والخارجي، لكنه كان يتحرك بصمت وبفاعلية كبيرة ممسكا بخيوط " اللعبة". وفي نفس الوقت الذي كان يشتغل فيه على إفشال الانتفاضة في الداخل والايقاع بقادتها عبر الخديعة والإغراء، كان يشتغل على تحييد الخطر الأجنبي والفرنسي تحديدا إذ كان يستهدفه بصفة مباشرة. فقد طالب القنصل الفرنسي بإقالته صراحة وحمله مسؤولية ما تشهده البلاد من فوضى واضطرابات. فكان أن استكان للموقفين الانقليزي والعثماني اللذين التقيا على المحافظة على " الوضع القائم" للبلاد التونسية في علاقتها باسطمبول. وأصبح القنصل الانقليزيربتشارد وود صديقا حميما لمصطفى خزندار . والواقع أن الخطر الأجنبي كان منعدما بمجرد التقاء أربعة أساطيل في نفس المكان وهو ما ألغى إمكانية انفراد طرف من هذه الأطراف بالبلاد التونسية وكان واضحا أن " الاجاصة التونسية" لم تنضج بعد.

وفي 23 سبتمبر 1864 غادرت الاساطيل الأجنبية ميناء حلق الوادي وزالت مخاطر التدخل العسكري الاجنبي المباشر في الأحداث لقد بدأت الجهود التي بذلها خزنه دار للفت في ساعد الثورة تؤتى ثمارها وأعانه على النجاح ماعترى المتمردين من الملل، لاسيما وأن حركتهم لم تكن منذ بدايتها موحدة ولا منظمة تنظيما محكما.

انتبه علي بن غذاهم بكثير من التأخير لسياسة الوزير الأكبر المخادعة، فقد لاحظ أن الأمان المتفق عليه كان سرابا إذ سعت محلة باجة إلى القبض على قتلة فرحات عامل الكاف. فتراجع في اتجاه معقله الرئيسي على الحدود الغربية للبلاد وهناك خاض صحبة قومه معركة فاصلة مع جيش الباي بقيادة المملوك رستم انتهت بهزيمته وفراره إلى الجزائروعندما اكتشفت السلطات الفرنسية نشاطه السري بالبلاد، وخاصة مراسلاته بتونس والتي استعمل فيها الالغاز وكيف أصبح مقصد الزوار جميعا بكسبه عطف أولاد عبد النور، قررت ان تضعه تحت الرقابة المباشرة بقسنطينة في انتظار نقلته الى وهران حتى يؤمّن شرق الجزائر من انتفاضة جديدة على الحدود بين البلدين حيث فرضت عليه السلطات الفرنسية الإقامة الجبرية[1].

أما بقية الثائرين فقد تتالت وفودهم إلى الباي لتقديم فروض الطاعة مغترين بما أعلن من أمان لسائر الثائرين. ولئن أبدى الباي في هذه المرحلة تسامحا تجاه الثائرين وقادتهم الذين توافدوا عليه، وهو سلوك أملاه تواصل الاضطرابات في البلاد والرغبة في اجتذاب القلوب والامعان في تفكيك قوى الانتفاضة، فإنه جاهر برغبته العارمة في الانتقام من هؤلاء ما إن تأكد من ذهاب ريحهم وتفرق صفوفهم.

[1] التيمومي الهادي : تونس والتحديث1831م- 1871م، ص 65.

وكـان الانتقام مزدوجا استهدف الابدان والأرزاق: تعذيب حد الموت لم يسلم منه كبير قوم أو صغيرهم من جهة وضريبة مجحفة ذهبت بما تبقى من أرزاق الناس. يقول ابن أبي الضياف : «وفوّض الباي لأخيه أمر محلّتي الساحل والجهة الغربية وكاتب أمراءها، أبا العباس أحمد زروق وأبا الضياء رستم بالوقوف عند أمر أخيه ونهيه، ومهّد باي الامحال البالد بما استطاع واستعمل الجهد في تأليف الشارد واصلاح ما فسد من حال الرعية. ثم كاتبه أخوه صاحب الدولة في ارسال جماعة من ماجر والفراشيشوونيفة المسجونين وغيرهم ممن فاء الى الطاعة، لما أمن من رعاع العامة ولما وصله المكتوب بأسمائهم تقبّض عليهم وسجنهم.

ثم بعثهم مقرنين في السلاسل والاغلال مع جمع من المخازنية وفرسان من «الهمامة» وجلاص وجماعة من العسكر وعددهم نحو المائتين منهم الشيخ الهرم الحاج مبارك صاحب الزاوية بتالة والشيخ ابراهيم الخلفاوي وغيرهم من الاعيان والعامة الذين شملهم الامان وبه اغتروا حتى اطمأنوا وما فروا.. وكان وصولهم في 13 مارس 1865م فأدخلوا الى صحن البرج مصفّدين في أغلالهم. وجلس لهم الباي على كرسي ببيت الباشا قرب بابها وأحضر أعيانهم فوبّخهم على ما كان أغضى لهم عنه وأمّنهم منه، وقال لهم : «لولا شفاعة الوزير لأمرت بكم الى باردو كناية عن قطع رؤوسهم وأمر بضرب جميعهم فمنهم من حكم عليه بألفي ضربة، ومنهم من حُكم عليه بألف وخمسمائة، ومنهم من حُكم عليه بألف وأكثر الجماعة بخمسمائة للواحد. وأمر بسجن جميعهم بكرّاكة حلق الوادي[1] .

[1]ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص98

المبحث الثالث: نتائج الثورة ونهاية المحارب علي بن غذاهم

بعد إن إستمرت القبائل في محاربتها لقوات باي تونس و مقاومتها كانت كل قبيلة تتفادى توجيهات علي بن غذاهم فهي لم تتوحد فعلياً تحت لواء قائدها علي بن غذاهم ، و نتيجة لذلك أصيب القبائل التونسية بالضعف ، و نتيجة لهذا الضعف تمكنت قوات الحكم التونسي و بمساعدة من الأوروبيين من إخماد ثورة تونس سنة 1866م و انتهز عرش جلاص المنتمي للحزب الحسيني الفرصة ليجتاح القرى الموالية لمساكن القرية تلوى الأخرى بينما استنجدت هذه الأخيرة بالمثاليث للتنكيل بأهل القلعة الكبرى اللذين أبوا الانضمام للثورة.

و ليحمي الجنرال زروق القلعة الكبرى خرج يوم 5 أكتوبر فما لبث أسبوعا حتى تصادم مع جماعة من القلعة الصغرى فهزمهم دون عناء و لحق بهم إلى قريتهم فأمسكهم و أباح نهب القرية بعد أن افتكها عنوة ، و مع أن شق العصاة المناصر لتلك القرية يعد 5000 مقاتل و لديه بعض قطع المدفعية إلى أن الجنرال زروق لم يشأ في النزال[1].

و ذلك لأن المساكنية أسرعوا إلى قريتهم لحمايتهم ، و من الغد أقبل الجميع طالبين للأمان و اقتدت بهم عدة قرى.

و أمكن للجنرال زروق دخول سوسة دخول الفاتحين الغزاة يجر ورائه أسراه مكبلين بالسلاسل والأغلال و جاب كامل المنطقة فنزع السلاح بالقوة و تجبر على العزل و نفذ جرائمه المشهورة[2].

و في أوائل جانفي دارت معركة قرب تبسة بين أنصار علي بن غذاهم و قوات محلتين اندمجتا ببعضها منظمة اليهم قبيلة جلاص اللتي تريد الأخذ بثأرها.

لكن الثوار دخلوا الى التراب الجزائر آمنين و أما قوات الباي فمنعتها القوات الفرنسية من الدخول . و بإذن من الجنرال د يماك ماهون فرضت الإقامة على بن غذاهم و أخيه عبد النبي مع عائلتهما أولا بقسنطينة ثم في قبيلة أولاد عبد النور اللتي لبثوا فيها حتى 1866م[3].

فيما كان قائد المحلة المسمى الجنرال رستم ينفذ عملياته العسكرية في غرب البلاد و يحكم بالإعدام على العصاة و يصادر المكاسب فقد أذاق الجنرال سكان الساحل ألوانا من العذاب لازال يذكرها سكان المنطقة إلى يومنا هذا منها الضرب المبرح بالعصي ،و الإعدام و التقييد بالسلاسل و الأغلال.

---

[1] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار ،ص30.

[2] نفسه ،ص 32.

[3] ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص76.

و فرض هذا الجنرال غرامات فادحة لا تفرضها حكومة على رعاياها بل يفرضها الغالب على المغلوب في الحرب[1].

و لكن في جويلية من 1865 استأنفت الاشتباكات بحدة أكبر من ذي قبل و أحرق الثائرون 25 غابة على الحدود التونسية الجزائرية. و لكن الحكومة التونسية لم تتخذ أي إجراء و اتهم كاهية الكاف سي صالح بن محمد فرنسا بإثارة الشغب، كانت حكومة الباي وقتها تمقت فرنسا و بدأت معها في سياسة الوخز فأطلقت يد العصاة على الجالية الفرنسية و لم تعوض الفرنسيين عن الأذى الحاصل لهم في محاولة يائسة للحد من النفوذ الفرنسي ، و تقليص تدويل القضية التونسية. و لكن بعد إرسال التهديدات للباي باحتلال الإيالة تراجع هذا الأخير و دفع 400 ألف فرنك لتعويض الفرنسيين في الثورة فسلمت الحكومة الفرنسية علي بن غذاهم في فيفري من سنة 1866م .[2]

نهاية المحارب علي بن غذاهم

وإذا عدنا إلى ربيع 1864م وجدنا أنّ جملة من العوامل الموضوعيّة مهّدت في الحقيقة لنهاية ثور ةعلي غذاهم. فقد دبّ الخلاف فيالبداية بين متزعّم الثّورة وقائدها في غرب البلاد علي بن غذاهم(1867 /1855م) وبين الرّجل الثّاني فيها، فرج بن دحّر الريّاحي الذّيإمتدّت يده بالنّهب وإخافة السّبل ممّا إضطرّ علي بن غذاهم إلى مراسلته وتحذيره ثمّ إلى التّبرّئ منه.

ثمّ إنّ بعض القبائل استغلّت ظروف الثورة وعموم الفوضى لمهاجمة خصومها في إطار تصفية خلافات قديمة. كما ساهمت الوساطة التي قام بها شيخ الطريقة الرحمانية مصطفى بن عزوز بين الباي والثوار في إخماد نار تلك الثورة. فقد اجتمع هذا الشيخ بعلي بن غذاهم وأبرز أتباعه وأنصاره من أعيان القبائل الثائرة ومشايخها بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي، وأسفرت هذه الوساطة عن إسقاط الضريبة إلى 10 ريالات فحسب، بعدما تضاعفت من 36 إلى 72 ريالًا، وعلى إسقاط نصف ضريبة العشر.

يُضاف إلى ذلك كله ظهور أطماع شخصية لدى علي بن غذاهم الذي طلب من الباي، فضلًا عن الأمان لإخوته وقومه ولخاصة نفسه، تمكينه من "نصير الروحية" (يُرجى التأكد من الكلمة الأصلية، قد تكون "نفوذ" أو "مكانة" أو ما شابه) وتسمية أخيه عبد النبي "قائدًا" على ماجر، وتسمية عدد من أتباعه وأقاربه "عمالًا" و"شيوخًا" في عدة قبائل.[3]

---

[1] جان غانياج:الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار ،ص 45

[2] جان غانياج:نفس المرجع السابق ،ص 33

[3] - ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه.، ص 99.

وقد أجابه محمد الصادق باي على كل ذلك بالقبول والموافقة وكتب له أوامره. وهكذا لم ينتهِ شهر جويلية من سنة 1864م، أي بعد أربعة أشهر على اندلاع الثورة، حتى بدأ الأمر يستتب للباي وأمراء محلاته وعماله في الجهات.

إلا أن بعض الأحداث كانت تنبئ بتراجع الباي عن الأمان الذي أعطاه لعلي بن غذاهم وسائر القبائل الثائرة ونقضه لما وقع إبرامه على يد الشيخ مصطفى بن عزوز، وذلك على سبيل معاقبة أولئك الذين خرجوا عن طاعته وتمردوا عليه وإمعانًا في "تأديبهم". كما توضح صورة الملاحق رقم 7، صفحة 88.

ولعلّ أهمّ هذه الأحداث مهاجمة المحلة التي كان يقودها إسماعيل صاب الطابع لعرش "ونيفة" بالكاف، الذين كانوا قد اغتالوا عامل الكاف الأمير فرحات في أفريل 1864م. وأما الحدث الثاني فهو انضمام بعض أتباع علي بن غذاهم إلى محلة أمير الأمراء رستم بعد أن استمالهم هذا الأمير وساسهم وأكرمهم وأحسن معاملتهم، فرأى علي بن غذاهم في ذلك محاولة لشق صفوف الثورة التي وحدتها من أجل إضعاف جانبه والإجهاز عليه، فعاد إلى محاربة هذه المحلة، ولكنها سرعان ما تغلبت عليه ففر ناجيًا بنفسه إلى الجزائر صحبة إخوته، كما فرّت عروش ونيفة إلى أرض الجزائر لقربها من منازلهم.

إن الأمر يتعلق بحادثة جزئية ولكنها حاسمة بالنسبة إلى مسار الثورة وإلى مصير قائدها، وقلما توقف الإخباريون والمؤرخون عند هذه الحادثة على أهميتها التاريخية وعمق دلالاتها. غير أننا نجد أن أحمد بن أبي الضياف يشير إليها ويفصّل القول في رواية وقائعها في "إتحافه". ففي شهر ديسمبر 1865، دخل علي بن غذاهم إلى تونس متخفيًا واستجار بأهله في منطقة جبل الرقبة من بلاد ماجر.[1]

ولم يكن هذا الأمر ليخفى على الباي إلا أنه تستر على هذا الخبر خشية أن يلتف الناس مجددًا حول علي بن غذاهم، ثم استمال أعيان جبل الرقبة ووعدهم بجزيل الأموال سرًا إذا ساعدوه على التمكن من بن غذاهم.

وبقي علي بن غذاهم في مكمنه تحت جناح الاختفاء حتى بلغه أن الولي محمد العيد التماسيني، أحد أتباع "سيدي أحمد التيجاني" (1737-1815)، قادم لتونس من صحراء الجزائر ليركب منها البحر إلى الحج، فخرج عندئذ من مكمن اختفائه ولاذ به وطلب منه الشفاعة عند الباي، فأنزله الشيخ معه في خيمته ووعده ببذل الجهد والجاه في الشفاعة له، فقد قال له: "أنت على كل حال أتيت تائبًا طائعًا من قبل أن يقدروا عليك وسأبذل جهدي وجاهي في الشفاعة."

[1] ابن ابي الضياف احمد، نفس المرجع السابق ، ص 99.

ولكن الخبر لم يفتأ أن بلغ إلى الباي الذي علم سريعًا، وقد استمال أعيان جبل الرقبة كما قدمنا، بأن علي بن غذاهم في حمى الشيخ محمد العيد التماسيني. فأرسل الباش حانبة الصادق بن محمد البحري بن عبد الستار في مهمتين: المهمة الظاهرة المعلنة هي الترحيب بالشيخ والقيام بواجب الاستقبال، والمهمة الحقيقية هي القبض على علي بن غذاهم.

وهكذا خرج الصادق البحري في جمع من أصحابه للإتيان بعلي بن غذاهم، فأدركوا موكب الشيخ محمد العيد بمنطقة خلاد من عمل تبرسق فطوقوا المكان كأنهم في حالة حرب، ودخل باش حانبة لتبليغ السلام من الباي إلى الشيخ وأمر من معه بالقبض على علي بن غذاهم من حيث لا يشعر الشيخ. وبذلك اقتيد علي بن غذاهم إلى باردو في 1 مارس 1866م بعد أن سُلب وعومل معاملة اللئيم. وعلى هذا النحو تكون استجارة علي بن غذاهم بالولي محمد العيد التماسيني السبب المباشر في القضاء عليه وإخماد ما تبقى من ثورته بشكل نهائي.

ولم يظل علي بن غذاهم بسجن باردو طويلًا إذ نقله الباي، يوم الأحد 29 أفريل 1866، إلى سجن الكراكة بحلق الوادي عندما توجه بأهله وخاصته هناك على عادته في المصيف. ومكث بن غذاهم في غياهب الكراكة في أسوأ حال إلى أن توفي يوم الخميس 10 أكتوبر 1867.

خلاصة الفصل :

لقد نجحت سياسة الخزندار في القضاء على تلك الانتفاضة وتسنى له الانتقام من أعدائه شر انتقام، بالإعدام تارة وبالضرب حتى الموت تارة أخرى، كما قام بتخريب ما بقي من البلاد حيث فرض على السكان ضروباً من الأداءان استنزفت كل ما بقي من ثروة البلاد .أما علي بن غداهم فأدرك أن الصلح لم يكن إلا جزء من مؤامرة للقضاء على ثورته فولى هارباً إلى الج ا زئر مع ثلاث ألاف خيمة تنشد السلم والأمان.

وقد كان لهذه الانتفاضة نتائج كثيرة منها، تغيير في العلاقات العثمانية الفرنسية، ذلك أن الباب العالي وبعد وصول خبر الانتفاضة إليه وبعد استشارة وزير خارجية بريطانيا" اللورد روسل"

Lord russel سارع بإرسال باخرتين مع مبعوث الباب العالي للبحث في أسباب هذه الانتفاضة وفي نهاية الثورة قام الباي بإرسال خير الدين باشا إلى إسطنبول لتقديم الشكر للسلطان بعد مساندته لتونس، كما طلب أيضا منه التفوض مع السلطان بتسوية العلاقات مع البلدين، إلا أن فرنسا رفضت الفكرة الأخيرة وأوضحت أنها لا تقبل بالوجود العثماني على الحدود الجزائرية.

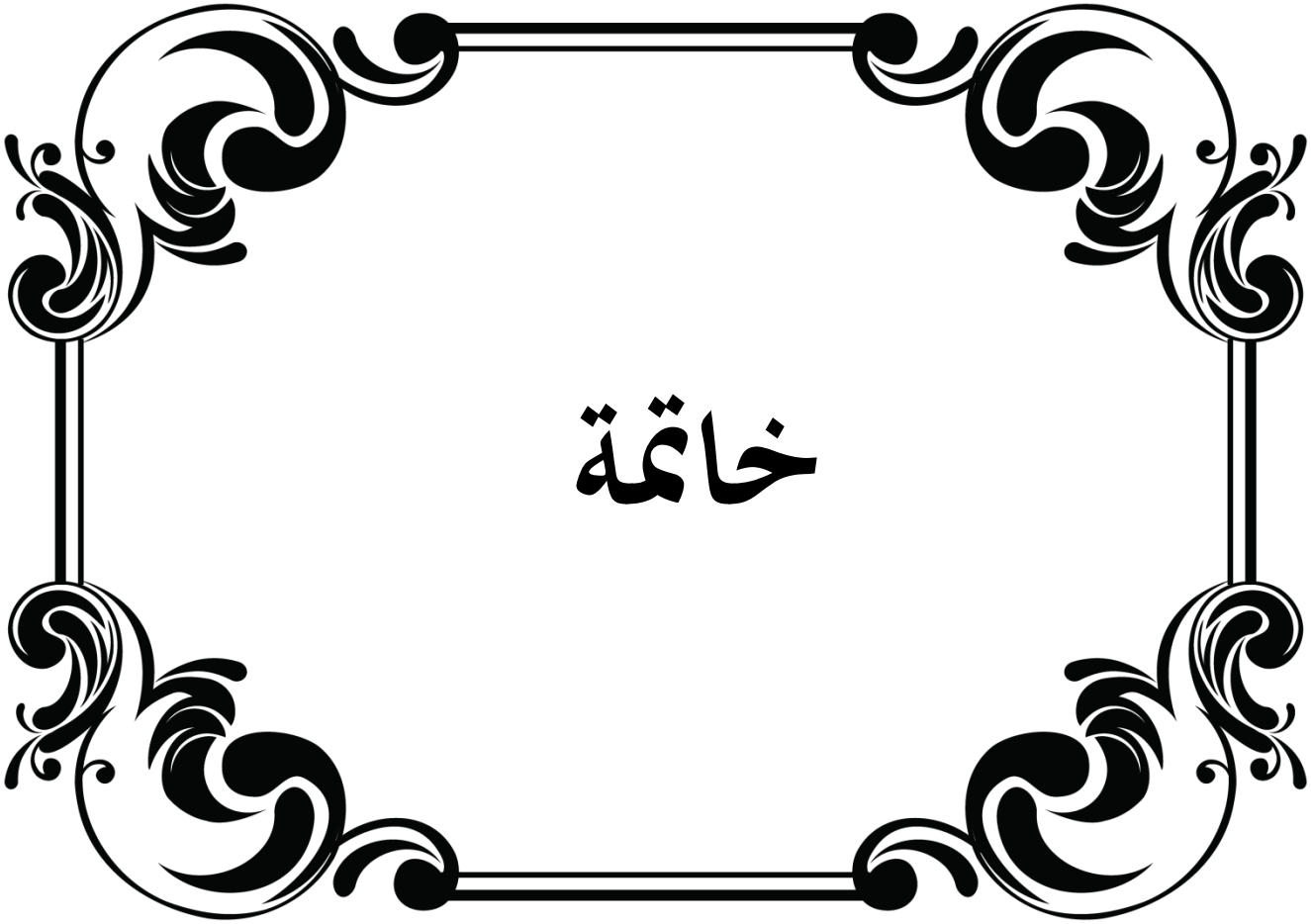
خاتمة

خاتمة :

إنّ التاريخ، وهو يمضي في مجراه سريعًا مضطردًا، يخلّف أحداثًا كثيرة تختلف حظوظها من الخلود والبقاء وشيوع الذكر، فمنها ما يلقى واسع الاحتفاء وينال وافر العناية والاهتمام، ليصبح جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة الجماعية والمنهاج التعليمي، يُدرس ويُحلل وتُستخلص منه العبر، ومنها ما تُرخى عليه سدول النسيان ويُهال عليه تراب الأيام فيظلّ خفيًا مجهولًا، وإن كان ذا أثر بالغ في توجيه الأحداث أو ذا وقع حاسم في تقرير المصائر وختم الأقدار، هذه الأحداث المنسية أو المهمشة غالبًا ما تحمل في طياتها دروسًا عميقة وتكشف عن جوانب خفية من الصراع الاجتماعي والسياسي، وتُظهر تعقيدات الحياة اليومية للشعوب في فترات التحولات الكبرى.

وفي سجلّ المحن والسجون والدماء التي شهدتها تونس في فترات متعددة، تبقى الانتفاضة التي قادها **علي بن غذاهم** من قبيلة **الفراشيش** (التي تُعرف محافظتها اليوم بالقصرين منذ الاستقلال) واحدة من أبرز وأشهر حركات التمرد الشعبي.

هذه الثورة، التي لُقبت بـ**"ثورة العربان"**، لم تكن مجرد رد فعل عابر على ضغوط مؤقتة، بل كانت تعبيرًا عميقًا عن رفض قبائل واسعة للسياسات الجبائية التعسفية والمركزية المتزايدة لسلطة **محمد الصادق باي**، حاكم البلاد آنذاك. يومها، انتفضت قبائل قوية ومؤثرة مثل الفراشيش، والهمامة، وماجر، التي تقيم في مناطق حيوية تمتد بين محافظات قفصة وسيدي بوزيد والقصرين. كان السبب الرئيسي لهذا التمرد هو رفض دفع الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل الأهالي، خاصة بعد تضاعفها بشكل غير مسبوق.

برز علي بن غذاهم كزعيم كاريزمي ومحنك لهذه الحركة، فاستطاع أن يوحد صفوف هذه القبائل المتفرقة تحت لوائه، مما منحه لقبًا مهيبًا هو "**باي العربان** "في مواجهة الحاكم الفعلي للبلاد، "الباي"، هذا اللقب لم يكن مجرد تسمية عادية، بل كان يعكس تحديًا مباشرًا للسلطة المركزية واعترافًا شعبيًا بزعامته وقدرته على تمثيل طموحات المتمردين في حكم ذاتي أو تخفيف قبضة الباي عليهم.

تواصلت هذه الانتفاضة الملحمية من **1864م إلى 1866م**، وشهدت فصولًا من المواجهات العسكرية، والمفاوضات، والتحولات السياسية المعقدة. ولكن على الرغم من زخمها الشعبي وقوة قيادتها، قُمعت الثورة بقسوة ودموية بالغة من قبل قوات الباي، التي كانت مدعومة بتقنيات عسكرية حديثة وبدعم أجنبي محتمل (يُشار هنا إلى الحاجة لمصادر تاريخية دقيقة حول مدى الدعم الأجنبي). بعد معارك ضارية وملاحقات مستمرة، تم إلقاء القبض على علي بن غذاهم في حادثة مفصلية أدت إلى انهيار ما تبقى من مقاومة.

لم يظل "علي بن غذاهم" في سجن "باردو" طويلًا بعد أسره، إذ نقله الباي يوم الأحد **29نيسان (أبريل) 1866م** إلى سجن "الكرّاكة" بحلق الوادي، وهو سجن شهير يُعرف بقسوته وظروفه المزرية. في غياهب هذا السجن، عاش الثائر في أسوأ حال، معزولًا عن أنصاره ومحبيه، تحت وطأة الإجراءات

القمعية، إلى أن وافته المنية يوم الخميس **10تشرين الأول (أكتوبر) 1867م** .وبهذا، طُويَت صفحة واحدة من أهم الثورات الشعبية في تونس الحديثة، تاركة وراءها إرثًا من المقاومة وشاهدًا على صمود الشعب في وجه الظلم.

إذا عدنا إلى ربيع عام 1864، نجد أن جملة من العوامل الموضوعية قد مهدت في الحقيقة لنهاية ثورة علي بن غذاهم. لم تكن الثورة قمعًا خارجيًا فقط، بل بدأت تداعياتها تظهر من داخل صفوفها.

- **الانشقاقات الداخلية وضعف الوحدة** :فقد دب الخلاف في البداية بين متزعم الثورة وقائدها في غرب البلاد، **علي بن غذاهم**)الذي عاش بين 1814 و1867)، وبين الرجل الثاني في الثورة، **فرج بن دحر الرياحي** .

امتدت يد فرج بن دحر بالنهب وإخافة السبل، وهو ما أضر بسمعة الثورة وهدفها الأساسي في رفع الظلم، مما اضطر علي بن غذاهم إلى مراسلته وتحذيره، ثم إلى التبرؤ منه علنًا. هذا الانقسام في القيادة أضعف من قدرة الثورة على الحفاظ على تماسكها وتركيز جهودها.

إلى جانب ذلك، استغلت بعض القبائل ظروف الثورة وعموم الفوضى لمهاجمة خصومها في إطار تصفية خلافات قديمة، فحوّلت جزءًا من طاقة الثورة نحو صراعات داخلية بدلًا من توجيهها ضد سلطة الباي. من الأمثلة البارزة على ذلك ما جرى بين قبيلتي "**جلاص**" و"**أولاد سعيد** ."ساهمت هذه الصراعات البينية بشكل كبير في تفكيك وحدة الثائرين، ومكنت محلات الباي وجنده من استعادة زمام المبادرة والسيطرة على تحركات العديد من القبائل التي كانت قد انضمت للثورة.

- **دور الوساطة في إخماد الثورة** :كما ساهمت الوساطة التي قام بها **شيخ الطريقة الرحمانية مصطفى بن عزوز** بين الباي والثوار في إخماد نار تلك الثورة. فقد اجتمع هذا الشيخ بعلي بن غذاهم وأبرز أتباعه وأنصاره من أعيان القبائل الثائرة ومشايخها بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي.

أسفرت هذه الوساطة عن تنازلات مهمة من جانب الباي، حيث تم إسقاط الضريبة إلى 10 ريالات فحسب، بعدما تضاعفت من 36 إلى 72 ريالًا، إضافة إلى إسقاط نصف ضريبة العشر. هذه التنازلات، على الرغم من أنها جاءت متأخرة، إلا أنها نجحت في استمالة جزء من الثوار وأضعفت من دوافع استمرار التمرد.

- **عوامل السقوط الكبرى** :انتهت انتفاضة 1864 في مزيج مروع من الإذلال والانتقام والتقتيل والتفقير. كانت الثورة ضحية لقصور تنظيمي واضح، ولعوامل معقدة التقى فيها **دور العنصر الداخلي المعادي لها**، ممثلًا في الوزير الأكبر وبطانة المستفيدين من وجوده على سدة الحكم، ومن ضمنهم بعض رجال الدين "المحترفين" الذين سعوا لمصالحهم الخاصة.

ولم يكن العامل الداخلي هو الوحيد، بل تضاف إليه **التهديد الذي شكلته الأساطيل الغربية** كضاغط على مستقبل البلاد، وهو ما وظفه أعداء الانتفاضة داخليًا لتبرير القمع وتشديد القبضة على البلاد تحت ذريعة حفظ النظام وتجنب التدخل الأجنبي المباشر.

مرة أخرى، ذهبت أحلام التونسيين في دولة اجتماعية يشتركون في إدارتها ويتقاسمون ثروتها بشكل عادل أدراج المضاربات السياسية الداخلية والتدخل الأجنبي والمضاربين بالدين.

كان مصير علي بن غذاهم رمزًا لهذا الإخفاق؛ فلم يظل في سجن باردو طويلًا، إذ نقله الباي يوم الأحد 29 نيسان (أبريل) 1866 إلى سجن الكراكة بحلق الوادي، ليبقَى الثائر في غياهب السجن في أسوأ حال إلى أن توفي يوم الخميس 10 تشرين الأول (أكتوبر) 1867.

الملاحق

ملحق رقم 1 : صور ديدون"عليسة "تؤسس قرطاج[1]

ملحق رقم2 : صورة المصحف الأزرق الذي يرجع إلى القرن الرابع للهجرة، الدولة الأغلبية [2]

[1] حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ط3، ص 126

[2] احمد بن عامر:تونس عبر التاريخ ، ص 155.

ملحق رقم 3 : صورة الدولة الحفصية [1]

ملحق رقم 4 : صورة راية الحسينيي [2]

[1] حسن حسني عبد الوهاب:خلاصة تاريخ تونس ط3 ص 120
[2] بيرم التونسي: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصاروالاقطار لمحمد ،ص 8

ملحق رقم 5 : صورة شعار الدولة الحسينية[1]

ملحق رقم 6 : صورة المحارب علي بن غذاهم [2]

محلق رقم 7 : صورة لنهاية المحارب علي بن غذاهم [3]

[1] حسن حسني عبد الوهاب:خلاصة تاريخ تونس ط3 ص 120

[2] ابن ابي الضياف احمد ت 1291ه – 1891ه:**اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286ه. ص 115

[3] جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي ،ص 45

بيبلـوغرافيـــا

بيبلوغرافيا :

أولا : المراجع العربية

- ابن ابي الضياف احمد ت 1291هـ – 1891هـ: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286هـ.
- ابن ابي الضياف احمد **كاتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286هـ.
- ابن ابي صياف : اتحاف الزمان باخبار ملوك تونس في اخبار افريقيا وتونس ،دار النشر تونس .
- ابن ابي ضياف ،ص 263.: **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس في اخبار افريقية وتونس**، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1286هـ.
- أحمد بن عامر: **تونس عبر التاريخ** ، دار النشر، تونس.
- بيرم التونس :صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والاقطار .
- بيرم التونسي: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الاقطار لمحمد ، المطبعة العلامية ، مصر.
- جان عانياج: الحكاية الكاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي .
- جان غانياج: الحكاية كاملة بين الشعب ودهاء خزنة دار والتدخل الاجنبي .
- حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، دار النشر تونس، الطبعة 3 .
- الحسينيون: في تونس نسخة محفوضة 24 ديسمبر 2017.
- خير الدين التونسي :أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، دار النشر التونسية ،ط 1.
- شارل أندري جوليان 1946م:تاريخ إفريقيا الشمالية.
- شارل اندري جوليان جوليان 1946م :**تاريخ إفريقيا** ، دار النشر تونس.
- الطاهر عبد الله :الحركة الوطنية التونسية ،جار المعارف للطباعة والنشر ، ط 2 ، سوسه – تونس ، 2008 .
- الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، زوية قومية جديدة، دار النشر تونس.
- علي الزواوي : الوافدون علي مدينة تونس خلال القران 18–19.
- علي الزواوي: **الوفدون على مدينة سفاقس خلال 1918**، دار النشر تونس.
- علي المحجوبي : جزور الحركة الوطنية التونسية ،1904م– 1934م.

- المحجوبي :جزور الحركة الوطنية التونسية ،1904م- 1934م .
- المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس 1986، سراس للنشر ، تونس.
- الهادي التيمومي : تونس والتحديث تاريخ لغير المختصين ،2010.
- الهادي التيمومي: **تونس والتحديث، 1831-1871 هـ**، دار محمد للنشر تونس، 2010

مذكرات :

- نعيمة شابي مذكرة لنيل شهادة الماستر ، **العلاقات الجزائرية التونسية من خلا كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 1198- 1288هـ/ 1782-** 1872هـ، من اعداد الطالبة: نعيمة شابي، السنة الجامعية: 2014/2013.

ثانيا : مرجع أجنبي

- WWW .WORLATLAS.COM.RETRIVED .
- .

الملـخص

ملخص :

ألحقت ونس بالدولة العثمانية بداية من1574 م،وظل الوضع كذلك حتى ضعفت سلطة العثمانيين بالبلاد ،حيث لم تعد سلطتهم فيها إلى إسميا فقط وغدت السلطة الحقيقية في يد البايات .وقد سعى هؤلاء إلى عقد إتفاقيات ومعاهدات مع الدول الأوروبية الكبرى في سبيل تأكيد إستقلالهم عن الدولة العثمانية.

بذل البايات جهود كبيرة للنهوض بالبلاد واصلاحها، ورفع الضرائب على السكان ،حيث إستعانوا بالشركات الأوروبية في مشاريعهم ليمهدوا بذلك الطريق لقيام ثوراة ضدهم ولإستعمارهم.

لقد إرتبطت الحركة الإصلاحية في تونس بالأزمة المالية التي نشأت نتيجة إسراف البايات وطمع الوزارء، وكذا عجز الميزانية الدولة على مسايرة ماتطلبته بعد إنتشار المجاعات والأمراض، مما أدى إلى الإسراف المالي ،وما كاد خبر ارتفاع المجبى ينتشر في القطر حتى ثارت السكان ولا سيما قبائل البادية، فإنهم تجمعوا وأشهروا السلاح ومنعوا السابلة وكان المقدم فيهم علي بن غذاهم، وبعد ما قاومتهم الحكومة مدة بقوة اضطرت لتخفيف المجبى وارجاعها الى أصلها الاول وبذلك ضمدت الثورة ضمودا ما.

والحقيقة، لم يسجل تاريخ تونس اثناء العصور الحديثة وعيا شعبيا هز كيان الاهالي ضد حكّامه الذين أثقلوه بالضرائب، وانهكوا قواه، مثل هذه الانتفاضة التي تظافرت جهودها على المطالبة بالغاء الزيادة في الضرائب، وتعيين حكام من المواطنين عوض الموالي الذين أساؤوا اليهم بامتصاص دمائهم. كما طالبوا بالغاء قانون عهد الامان والمحاكم الجديدة التي تطيل في فصل قضاياهم الطويلة والذي جرّهم سابقا الى التخلي عن زراعتهم وبيعهم وشرائهم كما اتفق قسم منهم على تعيين علي بن غذاهم بايا عليهم.

إستمرت الحكومة التونسية في الإستدانة من الخارج،وبعدما تراكم الدين عليها وأمام عجزا لخزينة عن رده إضطرت الحكومة الإعلان إفلاسها، وهذا ماكانت تنتظره فرنسا،التي سارعت إلى نيل موافقة إنجلترا وليبيا بشأن دخولها لتونس.

En français :

La Tunisie a provoqué le début Empire ottoman en début de 1574, la situation est restée jusqu'à ce que les Ottomans affaibli l'autorité du pays où il est plus en leur pouvoir pour devenir nominalement seul pouvoir réel entre les mains des Beys. Ils ont cherché à organiser des conventions et des traités avec les principaux pays européens afin de confirmer leur indépendance de l'Empire ottoman.les Beys exercent de grands efforts pour la promotion du pays et de la réparation, de sorte que les relations financières du tendon avec des étrangers, où ils ont utilisé des entreprises européennes dans leurs projets pour ouvrir la voie à la colonisation.

Le mouvement de réforme en Tunisie a été associée à la crise financière qui a surgi à la suite de l'extravagance des Beys et la cupidité des ministres, ainsi que le déficit du budget de l'Etat pour faire face à les différents personnes de la réforme, en particulier après la propagation de la famine et les maladies, résultant en un contrôle financier par une commission début internationale de 1869, ouvrant ainsi la voie à l'occupation française Tunisie. Le gouvernement tunisien a continué à emprunter à l'étranger, et après l'accumulation de la dette par le Trésor et à l'incapacité de sa réponse, le gouvernement a été contraint de déclarer faillite, et c'est ce qu'elle attendait pour la France, qui n'a pas tardé à obtenir le consentement de l'Angleterre et de la Libye concernant son intention d'entrer en Tunisie.

فـــهرس الموضـــوعات

المحتويات

الإهـــــــــــــداء.....

شـــــكر وتقـــــدير .....

المقدمة العامة

المقدمة العامة : ..... ب

الفصل الأول لمحة جغرافيا تاريخية حول تونس

تمهيد : 14

المبحث الأول: لمحة تعريف حول تونس 15

المبحث الثاني: أصل السكان 19

المبحث الثالث: أهم الحضارات التي تعاقبت على تاريخ تونس 28

خلاصة الفصل : 42

الفصل الثاني أحداث ومنطلق ثورة على غذاهم 1864 م

تمهيد : 44

المبحث الاول : أوضاع تونس قبيل الاندلا ع الثورة..... 45

المبحث الثانى : أسباب الانتفاض 49

المبحث الثالث : أهم أحداث ثورة على بن غزاهم 1864م 55

خلاصة الفصل : 60

الفصل الثالث عوامل فشل ثورة علي بن غذاهم 1864م ونتائجها

تمهيد : 62

المبحث الاول : ضعف القدرة التنظيمية وتشتت قوى الانتفاضة 63

المبحث الثاني: إخضاع الثائرين..... 68

المبحث الثالث: نتائج الثورة ونهاية المحارب علي بن غذاهم..... 72

خلاصة الفصل : 76

خاتمة

خاتمة : 78

الملاحق 81

بيبلـوغرافيـــا

بيبلوغرافيا : 86

الملـخص

ملخص :..... 89

فـهرس الموضـــوعات 88